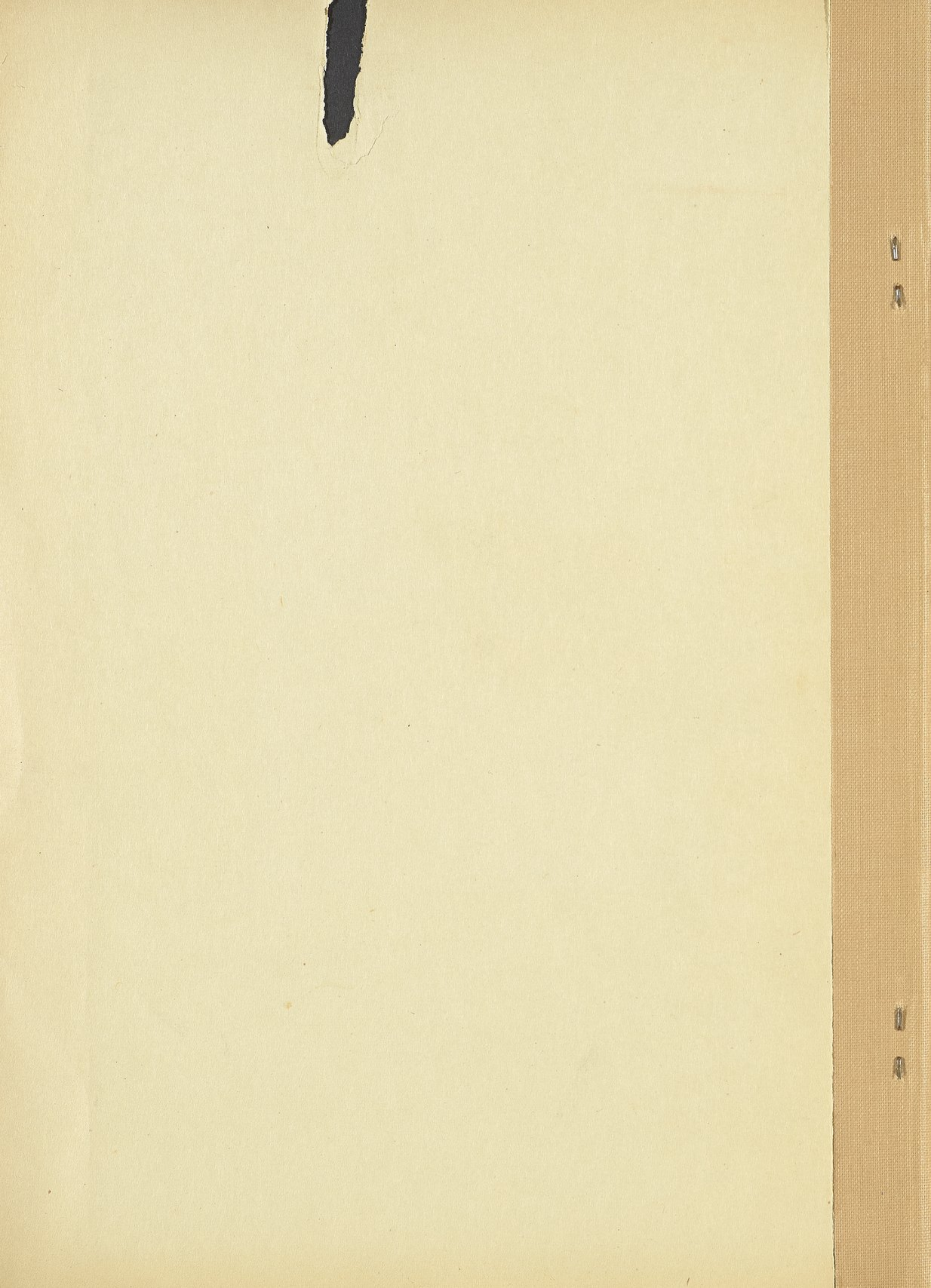


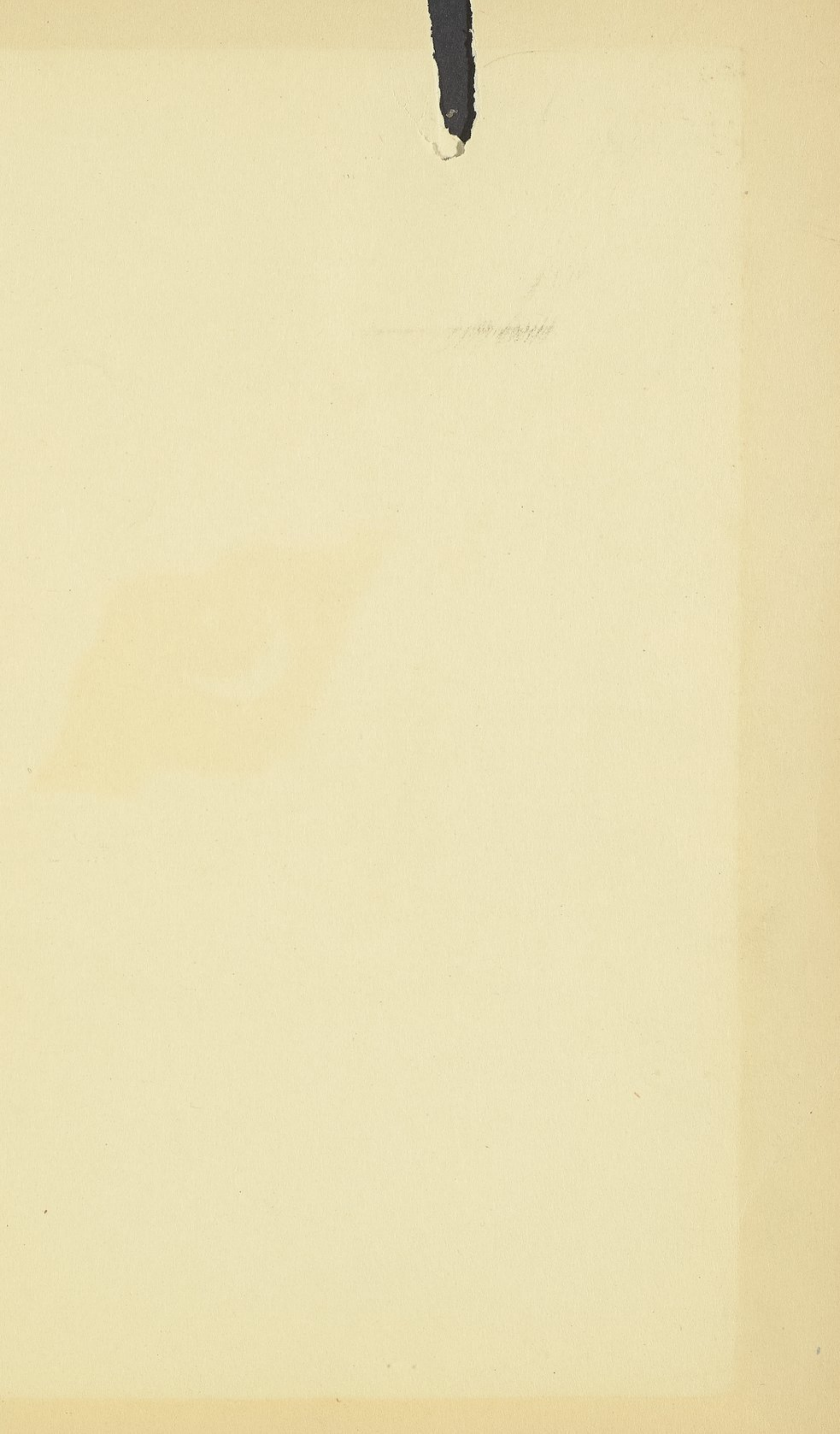
GAYLAMOUNT
PAMPHLET BINDER
~
Manufactured by
GAYLORD BROS. Inc.
Syracuse, N.Y.
Stockton, Calif.

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







الدكتور عمر فروخ

پاكستان

دولة ستعيش

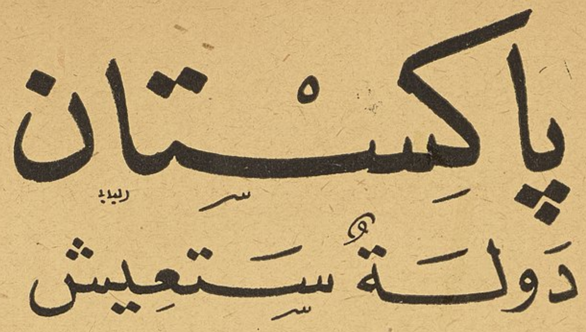
الباكستان كانت خيال شاعر
فأضحت وطناً للكرامة والحرية



دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

rukh

Title other end



الباكستان كانت خيال شاعر
فاصبحت وطناً للحرية والكرامة

ع. فرّوخ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي



دار الكشّاف للنشر والطباعة والتوزيع

١٩٥١

الطبعة الاولى

٤١ / ٩٥١

954.7
F24

جميع الحقوق محفوظة

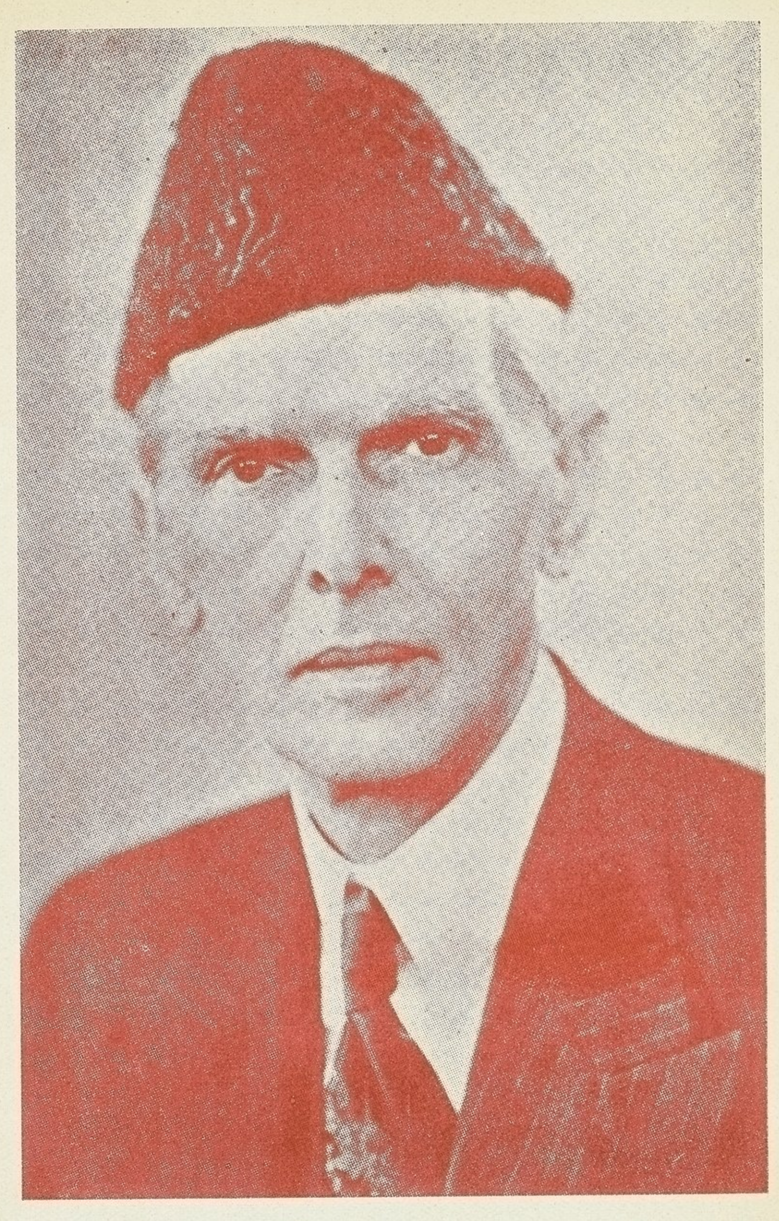
11298 D

بيروت

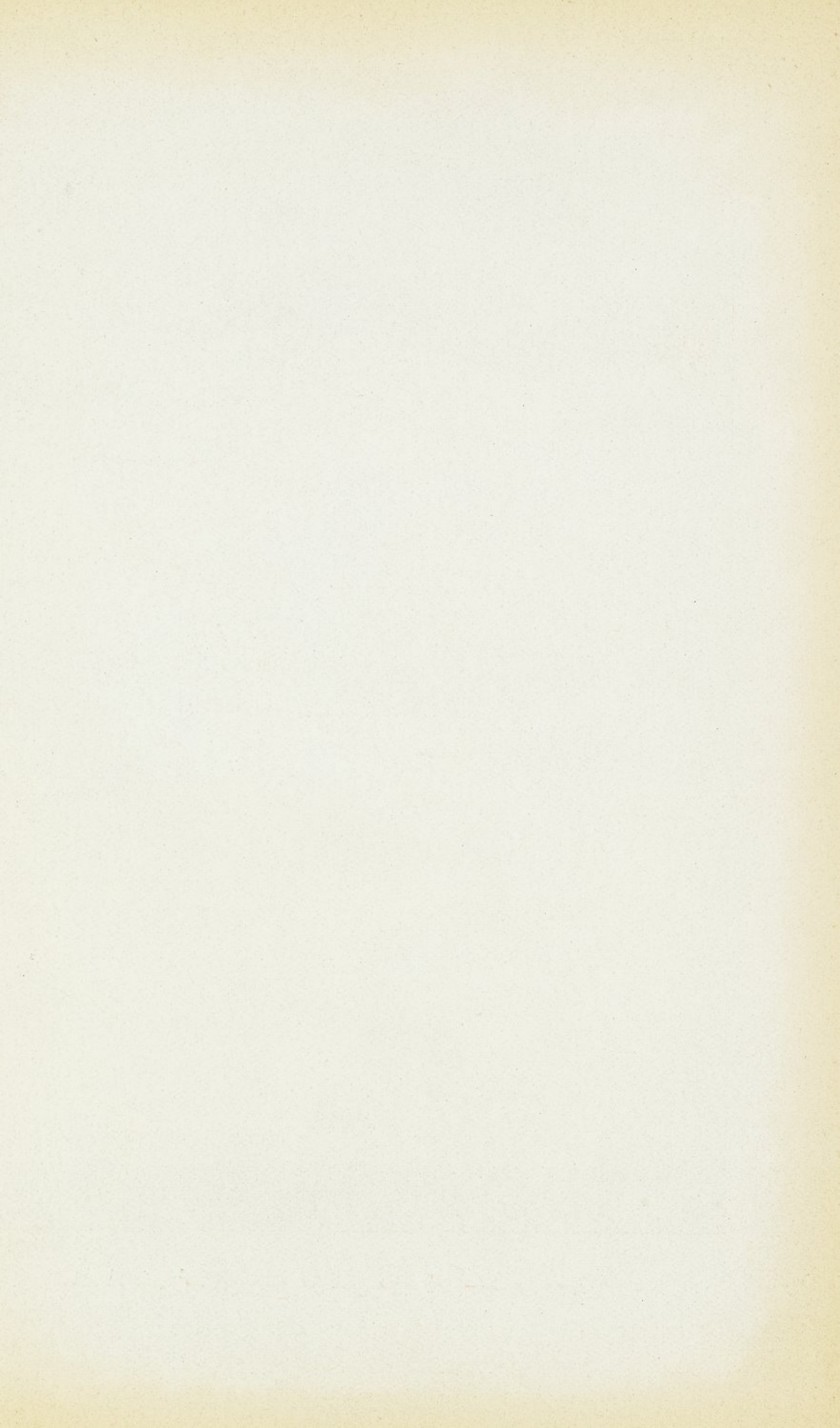
رجب ١٣٧٠ – نيسان ١٩٥١

11298D MGP 8/9/52





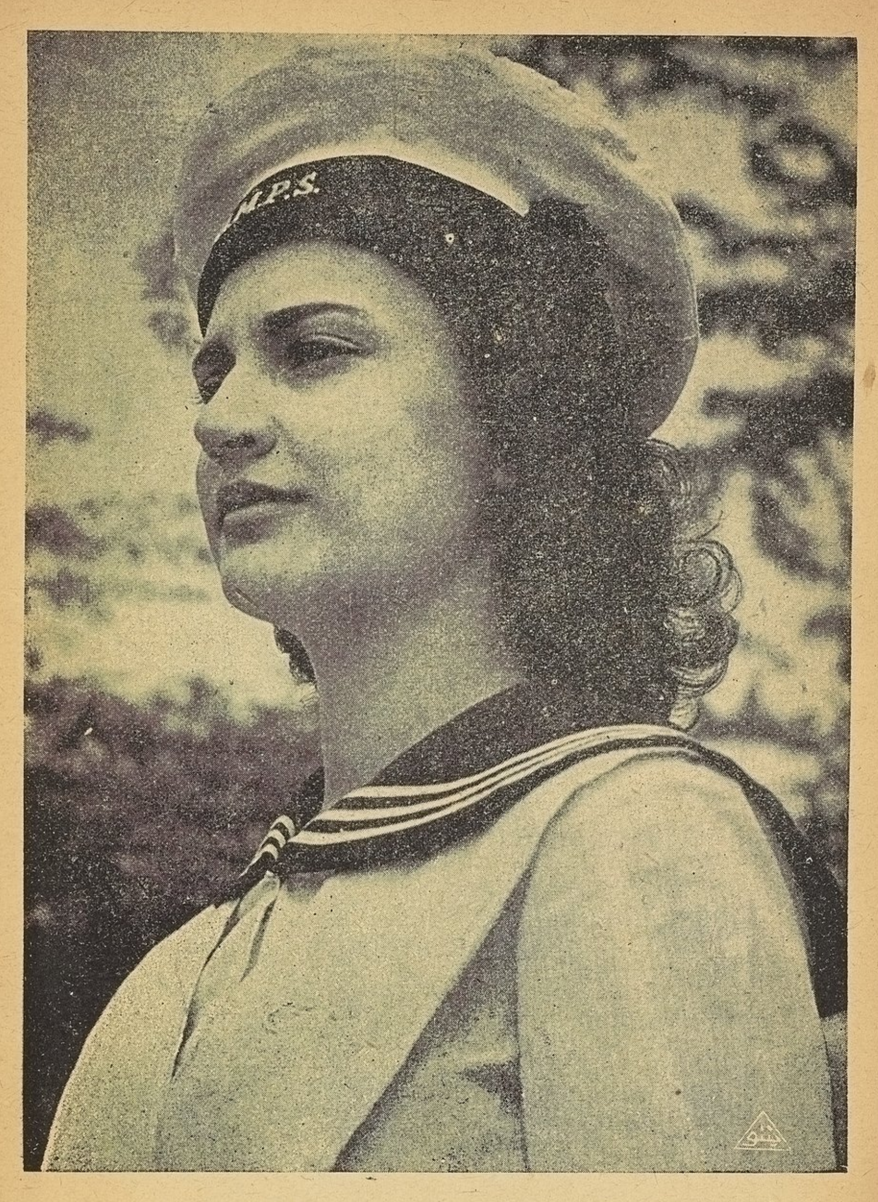
القائد الاعظم محمد علی جناح مؤسس دولة پاکستان ورئيسها الاول



الإهداء

*

إلى الفتاةِ العربيَّةِ
ألَّتي يَنتظِرُ الغدُ منْها أنْ تحمِلَ التَّبعةَ
في سبيلِ تنشئةِ جيلٍ جديدٍ قويٍّ
يتذكَّرُ مجدَ الماضي فيَمْحو عارَ الحاضرِ
ويُحْسِنُ بناءَ المُسْتقبلِ



فتاة من المتطوعات في الاسطول الباكستاني

الكلمة الاولى

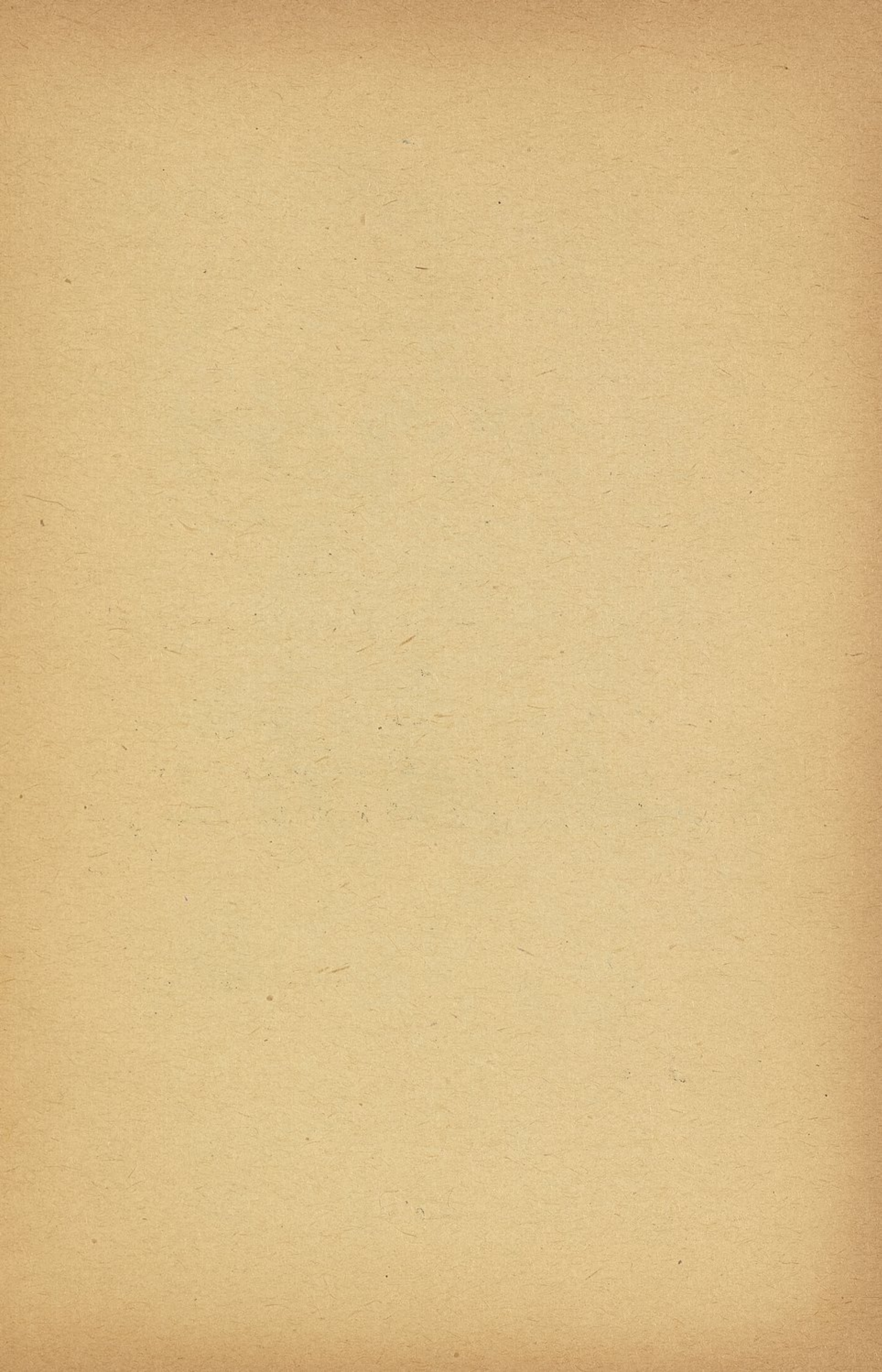
نبتت الفكرة الاولى لوضع هـذا الكتاب حينما ذهبت الى الباكستان لحضور الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي في شباط عام ١٩٥١ . ولما عدت اتفق ان ألقيت بعد ظهر الثلاثاء في الثالث عشر من آذار كلمة في كلية البنات لجمعية المقاصد الخيرية الاسلاميـة في بيروت بدعوة من جمعيـة السيدات والخريجات فيها . وقد جعلت عنوان تلك الكلمة يومذاك : « الباكستان دولة الغد » . تلك الكلمة كانت الخطوط الكبرى الاولى التي بني عليها هذا الكتاب فيما بعد .

☆

إنني أرجو ان أكون قـد أديت عن قومي واجبا في ذلك المؤتمر ، وارجو أيضا ان أؤدي واجبا آخر في تحديث قومي بحديث تلك الدولة الكبرى في الشرق : الباكستان دولة الغد .

٢١ جمادى الثانية ١٣٧٠
٣٠ آذار ١٩٥١

ع . ف



- ١ -

نحن العرب !

أقلتنا الطائرة من بيروت فسيحةً مريحة وفيهـــا من العناية ما لا يجده الانسان عادة الا في البيوت المترفة . فهو في مكانه يطلب ما يشتهيه فيناله ، او يناله قبل ان يطلبه . وحابانا الجو ايضاً فلم تضطرب الطائرة في طيرانها ولا نفذ البرد من جدرانها . ولما انتصف الليل او كاد جاء من جعل المقاعـــد الوثيرة سرُراً مرفوعة ، فران الكرى عـلى العيون ثم اخذ بمعاقد الاجفان . وما هي إلا تسع ساعات لا لغب فيهـــا ولا نصب حـــتى نزلت الطائرة في مطار كراتشي كما ينزل الندى في الرياحين . ولو ان أحدنا أراد أن ينتقل بالقطار او بالسيارة في قلب بيروت لناله مـن الاجهاد والعناء فوق ما ناله وهو سائر في طبقات الجو تسع ساعات متوالية عـلى علو أربعة عشر الف قدم فوق سطح البحر .

ولمـــا وطئت اقدامنا ارض المطار ابتدرنا اخوة يتشوقون للقائنا ، فحيونا بتحية الاسلام وحادثونا باللغـــة العربية ورحبوا بنا واحتفلوا ، وقاموا عنا بانهـــاء جميع

المعاملات الرسمية .

ولكن ما أن تنشقنا نسيم الراحـــة – ونحن بعد في ارض المطار – حتى بدأ الكفران يظهر عـــلى الالسنة . ففلان يقسم أنـــه لم يذق طعم النوم مع ان غطيطه كان يقوم مقام فرقة موسيقية كاملة ، ولكن غير عذبة الانغام . وجعل آخر يزعم انه لم ينعم بالنوم مع انه قد انبطح على مقعدين ، ولم تستطع محركات الطائرة الاربعة ان تشعره بانه موجود في الجو . ثم انه ظل على حاله هـــذه حتى قامت آنسة الطائرة في صباح اليوم التالي فوق رأسه وهي تحمل له في يدهـــا كأساً من الشراب الساخن . وفتح ثالث فمـه بقوله : لقد يبست أرجلنا من طول ما مكثنا في مكاننا لانتحرك ، مع انه ذرع الطائرة جيئة وذهابا عشر مرات على الاقل . وتأفف رابع من طول الطريق وجعل يقول : انهـا تسع ساعات ، تسع ساعات متوالية . مـــا أطولَ الطريق وما أشق السفر !

*

كنت اسمع ذاك والذكرى تحملني الى اجدادنا الذين قطعوا هذه المسافـــة مشياً على اقدامهم : يسيرون في شعاب الجبال المكسوة بالثلج او عـــلى رمال الصحراء الحارة ، ويطأون على الصخور الناتئة او يخوضون المستنقعات المترامية ، وهم يحملون اسلحتهم على اكتافهم وينتقلون في ارض اعدائهم : في بـلاد لغتها ليست لغتهم ، ودينها

ليس دينهم ، وعاداتهـــا ليست عاداتهم ، وطعامها ليس طعامهم . وكان يقودهم يومذاك فتى عمره سبعة عشر عاماً هو محمد بن القاسم الثقفي الذي ارسله الحجاج بن يوسف ليفتح السند ففتحها ، فأصبحت بعد ذلك دار أمان للاسلام واللغة العربية .

فما أعظمَ ايمان اسلافنا وما اقله في صدور احفادهم ، وما أحسن ايمان غير العرب اليوم !

الشرق الذي تغير

يتهم الغربيون الشرق بانه لا يتغير . انهم يرونه هادئاً جامداً مَيْتاً لا حياة فيــه البتة . كذلك كان في ايام الحروب الصليبية ، قبل ان يعرف العالم الطباعة والاسفار ، وكذلك لم يزل بعد ان كُشفت اميركة والاصقاع القطبية ومجاهـل افريقية واسترالية ، وبعد اختراع التلغراف والراديو والبنيسيلين والقنبلة الذرية .

ويظهر ان لهـــذه التهمة ظلاً من الحقيقة في الشرق العربي . لقـد ظل البترول يرد الى البلاد العربية عشرات الاعوام فنستضيء به ونستعمله في حاجاتنا المنزلية الاخرى من غـــير ان يعلم آباؤنا الاقربون ان هـذا الذي يجري على وجه الارض في العراق مشتعلاً او غير مشتعل هـو البترول . وكذلك كنا نسمع القصص العظيمة عن اكتشاف الذهب في صحارى اوسترالية وبقـــاع افريقية وبوادي

اميركة على عمق كبير ، يقاس احيانا بالكيلو مترات ، ثم لا يخطر ببالنا ان نكشف التراب عـــن عروق الذهب الممتدة تحت وجه الارض مباشرة في صحارى شبه جزيرة العرب وبواديها ، حتى جاء الاميركيون منـذ سنوات فقط فاستنبطوا من تلك الصحارى أغزر آبار البترول واستغلوا أغنى مناجم الذهب في العالم كله .

وكذلك نظرنا نحـن العربَ الى بحـــيرة لوط نِظرة المتأسف وسميناها البحر الميت ، ذلك لأننا لم نر فيها سمكا يقفز الينا مقليا او مشويا . مع ان هـــذا البحر ، الذي نسميه نحن ميتاً ، هو في الحقيقة أشد بحار العالم حياة بما فيه من المعادن التي لا غنى عنها في الصناعة والزراعة . وبدأ اليهود منذ خمسين سنة يستخرجون من هذاالبحر ثروات لا حصر لهـا فيحيون بها الارض بعد موتها أو يبعثون بها في الصناعة نشاطاً عظيما ، بينما نحن لا نزال مصرين عـلى ان نسمي هذا البحر نفسه « البحر الميت » .

*

على ان هذا الجمود قاصر لحسن الحظ على الشرق العربي وحده ، لا ينطبق على اليابان ولا على الباكستان ولا على اندونيسية . ونحن اذا استثنينا الدعوى الفارغـة والتبجح بالباطل والتفاخر بالجهل وبالموبقات رأينا ان البلاد العربيـة عامة لا تستطيع ان تقيم الدليل على انهـــا أرقى من سائر البلاد الشرقية غير العربيـة ، ولا انها لاحقة بها في ركب

الحضارة الانسانية .

*

إنني اريد ان ابسط في هذا الكتيب شيئا من كفاح الباكستان ومن نشاطهـــا ، عسى ان يكون ذلك باعثا للقارىء العربي عـــلى التفكير الجدي في حاله اليوم وفي ما يمكن ان تؤول اليه حاله غداً . فعسى ان نهيىء لأبنائنا واحفادنا عالما احسن من العالم الذي نعيش فيه نحن اليوم .

مدينة كراتشي

والذي يعرف تاريخ مدينة كراتشي يذكر انها كانت مصيدة للسمك عـــلى بحر العرب ، ثم اصبحت في القرن الحاضر مطاراً . ولما انفصلت دولة الباكستان من شبه جزيرة الهند عام ١٩٤٧ اصبحت كراتشي عاصمة الدولة الاسلامية الجديدة . ولقد كان فيها يومذاك مائة وخمسون الف ساكن كما قيل ، فاذا هي اليوم تضم مليوناً ونصف مليون من السكان . ثم اذا هي في مظهرها الخارجي اوروبية محضاً : شوارع عريضة وحدائق غناء وابنية شاهقة . لقد تغير كل شيء في الشرق الاقصى تغـــيراً كبيراً ، حتى التفكير في الباكستان قـــد تطور تطوراً عظيماً فأصبح للدولة عندهم معنى هو أرقى ما بلغ اليه النضج السياسي في العالم . أما نحن العرب فلا نزال – مما نرى حولنا – نعيش في القرن الثالث عشر للميلاد .

- ٢ -

هم يعرفون ما هم فيه

يبتدرك الباكستاني اولَ ما تنزل ارضه ويقول لك : نحن أمة حديثة السن ، امة ولدت في الخامس عشر من شهر آبَ عام ١٩٤٧ ، فهي لم تتم عامها الرابع بعد . ثم انها ولدت على خلاف ما تلد عليه الامم : ولدث فقيرة جريحة مسلوبة مشرَّدة تحمل عـــلى عاتقها اثني عشر مليونا من اللاجئين .

لما بدأت انكلترة في الاستيلاء على الهنـــد منذ مطلع القرن السابع عشر جعلت تحارب المسلمين حرباً لا هوادة فيها ، ثم قضت على امبرطورية المغول ، تلك الامبرطورية الاسلامية التي حكمت الهند بالعدل وادت فيها اعظم رسالة في العلم والعمران . ولم تكن شدة مراس المسلمين لتردع الانكليز عن عسفهم ، ومـــا كان عسف الانكليز ليمنع المسلمين عن الدفاع عن كيانهم . ولست احب ان اشغل وقت القارىء بسرد فظائع استعمار معين ، فالاستعمار واحد في جميع صوره ، ولا تفاضل في الشر .

واجتمع استبداد الهندوس وعسف الانكليز على المسلمين

ثلاثة قرون متوالية ، والمسلمون في الهند ربع سكانها ، فكانوا من اجل ذلك مجبرين على احتمال الظلم بانواعه . واخيراً بلغ الاضطهاد الذروة ووضح امام المسلمين انهم يتحولون شيئاً فشيئاً حجاباً في الدولة وحمالين في الاسواق وماسحي أحذية على الابواب . وكذلك كان المسلمون يقاتلون في الجيش المشترك قتال الابطال ويموتون .. ولكنهم كانوا يرجون ان تكون شجاعتهم ووفاؤهم ثمنا لانصافهم في الارض التي ولدوا فيها . وهكذا تبعثرت اشلاؤهم في ارض الهند نفسها وفي خارج الهند : على ضفاف الراين وفي سهول فلاندر وفي شبه جزيرة البلقان وفي فلسطين والعراق وعلى ترعة السويس : اجل لقد ماتوا في آسية واوروبة وإفريقية ، وكانوا نعم الجندي !

ولكن ما جنى مسلمو الهند بعد الذي ابدوه من ضروب الشجاعة والحمية والشهامة والوفاء ، لا اقول من الانكليز بل من اخوانهم الذين ولدوا معهم على اديم ارض واحدة : على ارض امهم الهند ؟ لقد كان عليهم ان يكتفوا بأن يكونوا جنوداً اوان يرقوا فقط الى الرتب الدنيا ، ثم عليهم ايضا ان يرضوا بذلك . اما القادة في الجيش فكانوا من غيرهم .

*

وتكاد قصة الباكستان كلها تتجلى واضحة في ذلك التجاذب الطويل الذي تداول المسلمين بين حزبي المؤتمر والرابطة الاسلامية .

حزب المؤتمر — والرابطة الاسلامية

نشأ في الهند منذ عام ١٨٨٥ حزب عرف باسم « حزب المؤتمر الوطني » . كان هذا الحزب يجمع تحت لوائه القائلين بالقومية والذين يرضون منهم – في الوقت نفسه – ان تنال الهند استقلالاً ذاتياً داخليـاً على مثال النظام السائد في عدد من المستعمرات البريطانية ، مثل كندا واوسترالية مثلا . ومع ان هذا الحزب كان يجمع ايضا عدداً من المسلمين البارزين ، فان سياسته كانت سياسة ممالئة لبريطانيـة وكان يكمن في ثناياها خطر عظيم على المسلمين في الهند .

وكان اولَ من فطن لهـذا الخطر الداهم وادرك ان التعاون بين الهندوس والمسلمين مستحيل ، وان الضمان الوحيد لسلامة المسلمين ورقيهم ان يعيشوا في دولة مستقلة هو السير سيد احمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٩ م) ، احد اعاظم المصلحين المسلمين في الهند ومؤسس جامعة عليكره عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) .

ولم يطل الامر حتى بدأت مخاوف سيد احمد خان تتحقق ، وظهر في المؤتمر رجال من الهندوس يوجهون سياسته توجيهـا هندوكيا صريحاً ، فلم يجد بعض اعضائه من المسلمين بداً من ان ينسحبوا منه . وهكـذا تأسست الرابطة الاسلامية لجميع الهند عام ١٩٠٦ . وكانت غـاية

الجامعة الاسلامية ان توقظ المسلمين في الهند الى المطالبة بحقوقهم وحفظ وحدتهم وكيانهم . ومع هذا كله فان المسلمين لم ينفضوا يدهم من التعاون مع الهندوس في سبيل الهند ، حتى أولئك الذين انسحبوا من حزب المؤتمر وأسسوا الجامعة الاسلامية .



السيد احمد خان

ولكن في عام ١٩١٧ اجتمع حزب المؤتمر في كلكوتا واتخذ القرار التالي :

« ان المؤتمر يرجو ان يعلن لجلالة الملك الامبراطور باسم شعب الهند المتحد عن الطاعة البالغة والتعلق الشديد والولاء المكين نحو العرش . وكذلك يعد بالوقوف الى جانب الانكليز في الازمات مهما كلف ذلك من تضحيات » .

لقد كان هذا القرار ثمنا لاصلاح وعد به الانكليز ثم نفذوه في عام ١٩٢٠ ، ولكنهم لم يزيدوا على ان منحوا بعض الصلاحيات الداخلية الى حكام عدد من المقاطعات الهندية . وظهرت الفائدة من هذا الاصلاح ضئيلة جداً حتى ان الهندوس اعضاء حزب المؤتمر انفسهم لم يقبلوا

بها . ولكن المسلمين رأوا أن يتحدوا مع مواطنيهم في رفض هذا الاصلاح الناقص حباً بالهند ، على الرغم مما يضمر الهندوس نحوهم ، فقاموا تحت قيادة الزعيمين المسلمين الكبيرين مولانا شوكت علي واخيه مولانا محمد علي وبالتعاون مع غاندي بحركة العصيان المدني التي اعلنها المؤتمر عام ١٩٢١ م .



مولانا محمد علي

والتفت الانكليز الى المسلمين يحملونهم تبعة العصيان المدني ويسومونهم سوء العذاب انتقاماً وعدوانا . ان الانكليز لم يغفرو لمسلمي الهند مناصرتهم لتركية ولاسياساتهم الاسلامية الرحيبة الافق . وانقلب العصيان المدني بين المسلمين ثورة صاخبة فاحتمل المسلمون الخسائر في الاموال والانفس وامتلأت بهم السجون.

ولكن كفاحهم كاد ان يزعزع اركان الامبراطورية البريطانية في الهند ، او هو زعزعها في ذلك الحين فعلا . ومع ذلك

فقد عرف المسلمون بعد هذا ايضا ان الانكليز والهندوس يتفقون سراً على الكيد لهم .

وعلى الرغم من هذا كله فقد ظل جانب من المسلمين يرى فائدة من التعاون مع الهندوس الذين كانوا ينظرون الى مواطنيهم المسلمين نظرة الازدراء ويعدونهم في المنبوذين ، وربما اعلنوا ذلك في كتاباتهم وخطبهم على رؤوس الاشهاد . فلقد قال سافاركار ، احد قادة جماعات الهندوس : ان القضايا الاجتماعية في الهند هي ارث قديم حمل الينا عداء ثقافيا ودينيا وقوميا بين المسلمين والهندوس . وحينما يحين الوقت فان هذه القضايا ستحل . ونحن لن نستطيع ان نصرف هذه القضايا بتجاهلها . فلنواجه الحقائق المرة بشجاعة اذن ؛ ان الهند لن تستطيع ان تكون بلداً موحّداً ولا امة موحّدة ؛ إن فيها امتين : الهندوس والمسلمين .

ومنذ عام ١٩٢٥ نشر هار ديال ، احد كبار الصحافيين مقالاً في جريدة له فقال :

« انني اعلن ان مستقبل الجنس الهندوكي في الهندستان والبنجاب (اي في المقاطعات الشمالية الغربية حيث يكثر المسلمون) يجب ان يقوم على اربعة اسس : الوحدة الهندوكية ، الحكم الهندوكي ، تجنيس المسلمين ، ثم احتلال الافغان ومناطق الحدود الجبلية ... والا كان مستقبل الامة الهندوكية كلها في خطر . ان الجنس الهندوكي له تاريخ واحد ومؤسسات متشابهة ، ولكن المسلمين والنصارى يبعدون



محمد إقبال

كل البعد عن الفكرة الهندوكية ، ولهما فوق ذلك دينان غريبان . والمسلمون والنصارى اشد ميلا الى « الحضارة » الفارسية والعربية والاوروبية .

في هذه الاثناء كان القول بانشاء دولة خاصة بالمسلمين في الهند قد اتسع نطاقه . فمن الذين قالوا بذلك مولانا عبيد الله السندي المولود في سلكوت بالبنجاب والمتوفى نحو عام ١٩٤٠ . كان عبيد الله هذا من السيخ ، ولكنه اعتنق الاسلام في صباه وكان له آراء متطرفة زادت تطرفاً بتطوافه في الارض . ولقد وضح له ان الهند ليست بلداً واحداً لما فيها من امتداد الاقطار وكثرة الاجناس واختلاف المذاهب وتعدد اللغات ، بل هي في الحقيقة قارّة . من اجل ذلك لا يستقيم فيها دولة واحدة جامعة . اما المسلمون فيجب ان يكون لهم دولة خاصة بهم . ولقد ضمن عبيد الله السندي آراءه هذه في منهاج مفصل نشره عام ١٩٢٤ في استانبول . ولكن الانكليز منعوا دخول هذا المنهاج الى الهند .

ما الذي دعا الى هذه الفكرة دعوة جمعت حولها قادة الهند وشبابها ثم جعلت لها صدى يتردد في انحاء العالم فهو الشاعر الفيلسوف محمد اقبال (١٨٧٦ - ١٩٣٧م) المولود في سلكوت ايضا . انه روح هذه الحركة وشاعرها وفيلسوفها .

والحقيقة انه لم يكن بالامكان ان يستمر المسلمون والهندوس عائشين على ارض واحدة : ان كل شيء

في الاسلام مخالف لكل شيء عند الهندوس ، كما قال محمد علي جناح : الدين والطعام واللباس والاسماء والنظرة الى المرأة . حتى موقف الهندوس من الحيوانات مخالف لموقف المسلمين ، فالهندوس يعبدون البقرة بينما المسلمون يأكلون لحمها .

*

ومن الخطوات الفاصلة في تطور قصة الباكستان الدورة الثانية لمؤتمر الطاولة المستديرة الذي انعقد في لندن عام ١٩٣٢ فقد اقر الانكليز لاعضاء حزب الرابطة الاسلامية ان يحضروا المؤتمر بصفتهم « مسلمين » لا على انهم « حزب سياسي هندي » . وهكذا اكتسب النضال الاسلامي في الهند صبغته الرسمية الشرعية .

ويظهر ان موقف الهندوس من الوطنية ايضا كان يختلف من موقف المسلمين . في عام ١٩٣٧ اعلن البانديت جواهر لال نهرو – وهو رئيس الوزارة الحالي في الهند – ان هنالك في الهند حزبين : الحكومة الانكليزية وحزب المؤتمر . اي الموالين للانكليز . حينئذ اضطر محمد علي جناح ان يقول : بل إن ثمت حزباً ثالثا ، هو الامة الاسلامية . ومنذ ذلك الحين ادرك المسلمون حقيقة الخطر الذي هم فيه صراحة .

ولم يبق بعد عام ١٩٣٧ عذر لمسلم في الهند ان يظل عضواً في حزب المؤتمر ولا ان يبقى خارج الرابطة الاسلامية .

ولكن الرابطة الاسلامية كانت تحتاج الى تنظيم حتى تصبح اداة فعالة في يد القادة المخلصين . وقيض الله لهـــا رجالا مخلصين نظموها ثم ألقوا رئاستها الى محمد علي جناح . وهكذا وقف المسلمون كلهم صفا مرصوصا يعلنون رأيهم بجــرأة ويقولون : لا نريد ان نعيش بعد اليوم أقلية تحت حكمٍ ظلوم عسوف . لقد استيقنوا ضرورة قيام دولة « باكستان » دولة للمسلمين في الهند .

ان هذا الطيف الذي كان يراود خيال قادة المسلمين في الهند ، والذي كان الكثيرون يظنونه اضغاث احلام ، قد بدا في عام ١٩٣٧ في متناول اليد . ان فكرة الباكستان لم تزدد مع الايام وضوحاً ، ولكن الايمان قد دخل قلوباً جديدة فملأها نوراً .

وقد يحلو للقارىء ان يسأل : ما معنى كلمة باكستان ، وكيف سك مسلمو الهند هـــذه الكلمة . ان الكلمة في ظاهرها تركيب مزجي معنـــاه ارض الطهر او الدولة الطاهرة . فكلمة پاك معناها طاهر . وكلمة ستان معناها الارض او الدولة .

واما الكلمة نفسها فخيال بارع ابدعه الطلاب المسلمون الذين كانوا يدرسون في انكلترة . ولقـــد استعمل للمرة الاولى في كانون الثاني عام ١٩٣٣ ، إذ رفعت به صوتها منظمة الطلاب المسلمين في بريطانيا العظمى . لقد دلهم خيالهم الشاعر على ان يفصلوا أحرفاً من المقاطعات الهندية التي يكثر

فيها المسلمون ثم يؤلفوا بينها ليستخرجوا منها اسماً للدولة التي ستكفل العزة والكرامة لهم ولأخوانهم ثم لابنائهم واحفادهم من بعدهم . وهكذا سكت الكلمة على الشكل التالي :

ب من البنجاب .

ا من باتان (الحدود الشمالية الغربية) .

ك من كشمير .

س من السند .

تان من بلوخستان [1]

وظلت كلمة باكستان مشروعا شخصياً للطلبة حتى عقدت الرابطة الاسلامية في آذار عام ١٩٤٠ اجتماعاً عاما حضره مائة الف مسلم ، فتقرر فيه ان تتخذ كلمة باكستان أسما رسميا للدولة المأمولة .

وأيقن الهندوس ان رغبـــة المسلمين في الانفصال سياسياً ستتحقق فحاولوا أن يمنعوا تحقيقها بكل سبيل فلم يفلحوا . ذلك لأن المسلمين ادركوا أن رضاهم بالبقـــاء في دولة هندوكية معناه القضاء عليهم اقتصاديا واجتماعيا ثم استئصال شأفتهم مرة واحـــدة بالمذابح . لقد كان الضمانَ الوحيد للمسلمين في الهند ان يكون لهم دولة هم سادتها .

*

---

(١) يلاحظ ان الكلمة لا تضم حرفاً يمثل البنغال ، مما يدل على ان الطلبة لم يكونوا يفكرون آنذاك الا في غربي الهند . ولكن يمكن تمثيل كلمة بنغال مشتركة مع الالف مثلا .

امام هذا الاصرار لم يجد الهندوس بدا من الانحناء قليلا فجعلوا يتصلون بالقادة من المسلمين ويفاوضونهم في حلول مختلفة .

وكان اول برهان تقدم به الهندوس برهانا لفظيا مبنيا على الاشراك بالله . انهم قالوا : ان امنا الهند تشبه بقرة ، واذا نحن قسمنا البقرة قسمين ماتت . لقد كان هذا التشبيه يتفق مع العقلية الهندوكية ، فالهندوس يعبدون البقرة ولا يذبحونها ، اما المسلمون فانهم لا يعبدون إلا الله ، ولقد جرت عادتهم ان يذبحوا جميع انواع النعم .

وتحاجز الفريقان في الهند : الهندوس يودون أن تبقى الهند موحدة والمسلمون يصرون على اقامة دولة لهم . ولكن لما أعلنت الحرب العالمية الثانية اعلن الانكليز ان سلامة الامبرطورية تقضي عليهم بان يتركوا قضية التقسيم جانبا وان يوحدوا جهود جميع السكان في الهند في سبيل النصر . ولم يكن الهندوس ولا المسلمون بقادرين على مقاومة ذلك .

ولكن القائد المفكر المخلص محمد علي جناح قال : اننا نوافق على الهدنة في كفاحنا السياسي اذا رضيت بريطانية بشرطين لنا :

١ - تعلن الحكومة البريطانية اعلانا صريحاً باتاً انها لا تتبنى دستوراً لحكم الهند في زمن الحرب او بعد الحرب من غير موافقة سابقة من جانب المسلمين .

٢ – يكون للمسلمين نصيب مساو لنصيب غيرهم من السيادة وفي مراقبة امور الحكومة المركزية والحكومات الاقليمية .

ورضي الانكليز بذلك واعلنوا في آب ١٩٤٠ انهم لن يوجدوا في الهند شكلاً من اشكال الحكم لا ترضى عنه عناصر كثيرة العدد قوية الاثر . فقبل المسلمون هذا الاعلان ورفضه الهندوس ثم اعلنوا عصيانا مدنياً . ولكن المسلمين وقفوا على الحياد فخابت الحركة . ثم قام الهندوس بثورة جامحة في آب من العام التالي ، ولكن الانكليز تغلبوا على تلك الثورة وقبضوا على غاندي وعلى زعماء حزب المؤتمر وزجوهم في السجون .

ان سياسة المسلمين في هذا النزاع كانت واضحة : إما تعاون مطلق على اساس اقتسام صحيح للمغانم وحمل مشترك للمغارم واما انفصال ! ان المسلمين قد شبوا في الهند عن الطوق ، وهم يرفضون بعد اليوم ان يكونوا مطايا إلى اغراض غيرهم .

وانحنى الهندوس انحناءة جديدة فاجتمع غاندي بمحمد علي جناح عام ١٩٤٤ في بومباي . ومع ان غاندي اقر بان ثمت مقاطعات يحق لها ان تقرر مصيرها بارادتها ، فانه ظل مقاوماً للتقسيم ثم اصر – في حالة تحقيق تقسيم ما – ان تظل السياسة الخارجية وشؤون الدفاع والمواصلات والتجارة خاضعة لادارة مشتركة . ولكن محمد علي جناح

رفض رأي غاندي مرة واحدة لأن هذا الرأي كان مخالفا لرغبات المسلمين .

واثمر صبر محمد علي جناح ، ففي تموز عام ١٩٤٥ شكل حزب العمال الوزارة البريطانية . وفي ١٥ آب من العام نفسه استسلمت اليابان وانجاب الخطر عن الشرق الاقصى . اما الانتخابات التي كانت قد اجلت في الهند بسبب الحرب فقد اجريت في اوائل عام ١٩٤٦ . وفي اثناء الاستعداد للانتخابات جعل حزب الرابطة الاسلامية قضية « باكستان » أبرز نقطة في منهاجه الانتخابي . وكان المسلمون في الهند قد باتوا مقتنعين بذلك ففاز حزب الرابطة الاسلامية بالمقاعد الثلاثين المخصوصة بالمسلمين في المجلس التشريعي المركزي ، ثم نال ٤٢٧ مقعداً من مجموع ٥٠٧ مقاعد للمسلمين في مجالس الاقاليم .

ومع ان نفراً من المسلمين « نزلوا الى الانتخابات في قوائم الهندوس » ودخلوا الى المجلس النيابي باسم بني امتهم ، فان رغبة المسلمين — حتى في المجالس التشريعية — قد اصبحت الآن واضحة الى أبعد حد . ولم يبق بامكان الحكومة البريطانية ولا بامكان الهندوس ان يتجاهلوا رغبة مائة مليون من المسلمين يريدون ان يعيشوا احراراً في دولة لهم . واذا كان في العالم جماعات تبلغ في العدد بضعة آلاف او بضع مائة الف او مليونا او مليونين من البشر ولهم دولهم المستقلة ، فمن الأجدر ان يكون لامة تعد مائة

مليون دولتها المستقلة .

ولما بلغت المعضلة الى هذا الحد الفاصل اصبح البحث في اساس التقسيم مضيعة للوقت . فانتقـل البحث المنتج الى طريقـة التقسيم ونقل السلطات من البريطانيين المستعمرين الى ابناء البـــلاد . وفازت قضية المسلمين في الهند .

وهنا اخذ يجيش في صدور الفتيان والشيوخ وفي صدور العجائز والفتيات صوت لا تقدر عليه الالسنة بعدُ ، ولكن تحسه القلوب . ثم تريد الحناجر ان تعلنه للعالم مدوّيا ولكنه ينحبس عند الشفاه فيترقرق دمعـاً يمتزج فيه الحنين القديم بالفرح الجديد والماضي المجيد بالامل الباسم . فمتى تحينين ايتها اللحظة المباركة ليتاح للصدور ان تدفع بالهتاف الى اطراف الدنيا ، هُتافاً تصل امواجه الى عظام آبائنا الذين حلموا بهذا اليوم والى رفات اجدادنا الذين اورثونا هذا الوطن الغالي والايمان الوطيد . نريد ان نقول « پاكستان زنده باد » ! (تحيا الباكستان) ولكننا لا نستطيع ذلك بعد .

*

وفي الثامن عشر من تموز عـام ١٩٤٧ اتخـذ البرلمان البريطاني قراراً هو :

« ابتداءً من الخامس عشر من آب عام ١٩٤٧ يقوم في الهند حكومتان باسم الهند وباسم باكستان » .

وهكذا ولدت على رقعة هــذه الارض اكبر دولة اسلامية وخامس دولة كبرى في العالم كله :

پاكستان زنده باد !

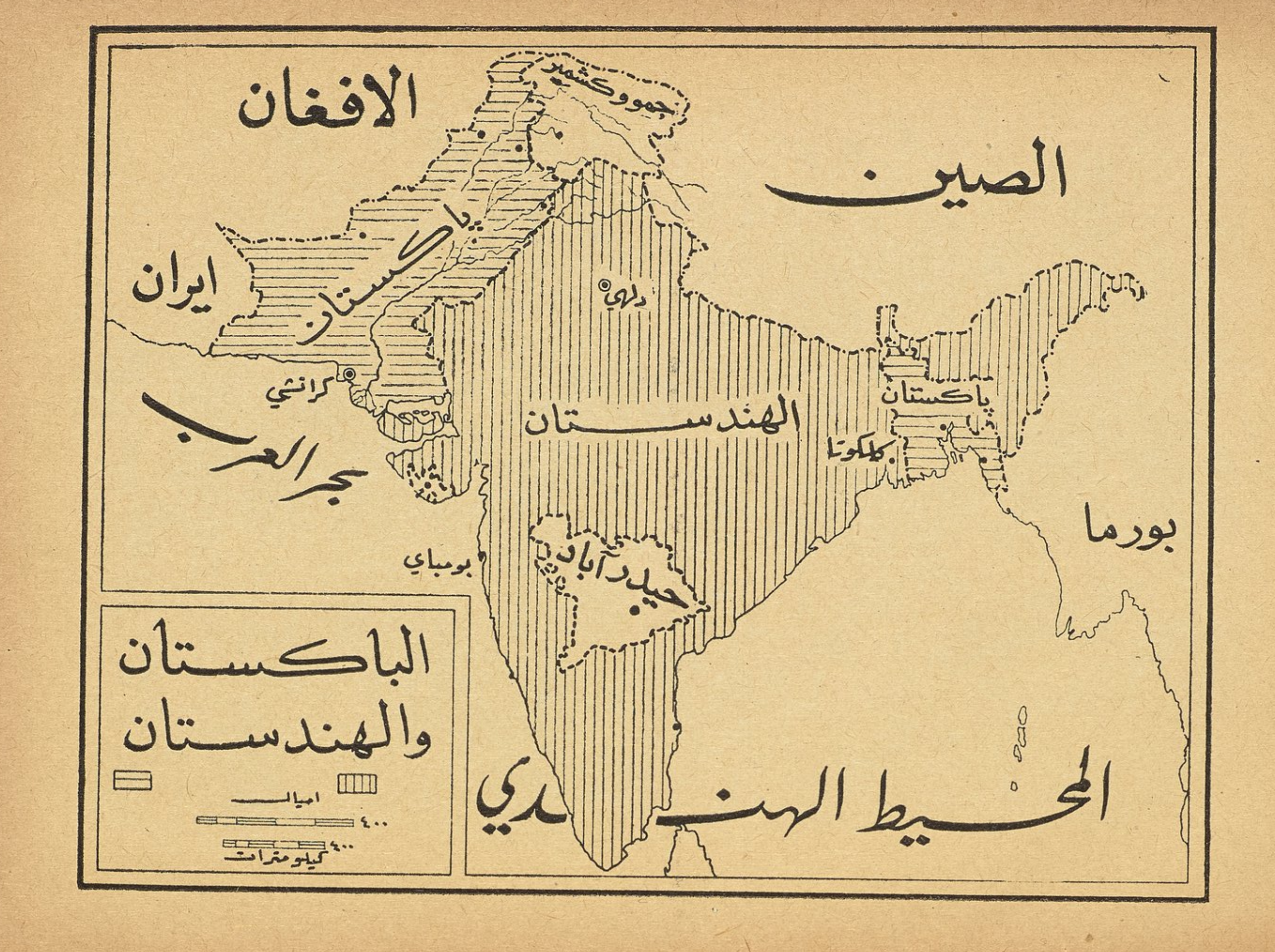
- ٣ -

قسمة ضيزى

اضطرت انكلترة بعوامل سياسية عالمية – لا حباً باحقاق الحق ولا تلبية لرغبة الهنود – ان تخرج من الهند ؛ ولم تجد بدآ قبل خروجها من ان تقسم الهند قسمين : هندستان حيث تعيش اغلبية هندوكية ثم باكستان حيث تعيش اغلبية مسلمة . وهنا استيقظ الحقد القديم في صدر المستعمر وحيكت احدى المؤامرات الكبرى في تاريخ الانسانية .

لقد قسمت الهند قسمة غير عادلة ، قسمة لا تتفق مع المنطق . ولم يتحر القاسمون العدل في توزيع الارض ولا في الاستماع الى رغبات السكان ولا في توزيع الثروات الطبيعية والوطنية . وبما ان الجور البالغ والتناقض المطلق والمهاتلة الظاهرة قد سيطرت على قضيتي حيدر أباد وكشمير خاصة ، فانني سأفرد لهاتين القضيتين فصلا خاصا في آخر هذا الكتاب .

واعطي المسلمون ارضاً تتألف من قطعتين يفصل بينهما في اقرب نقطتين منهما الف وسبعمائة كيلو متر . وكان



الباكستان
والهندستان
اميال
٤٠٠
٤٠٠
كيلومترات
الافغان
جمووكشمير
الصين
ايران
باكستان
دلهي
كراتشي
بحر العرب
الهندستان
باكستان
كلكوتا
بورما
بومباي
حيدرآباد
المحيط الهندي

مبدأ حق تقرير السكان يمنح للمقاطعات المختلف عليها بسهولة ، اذا كان التصويت سيخرج فيها بجانب الهندوس فقط . واما اذا كانت نتيجة التصويت محتملة الميل الى احد الجانبين فان حكومة الهند كانت تستولي على المقاطعات المختلف عليها بقوة الجيش . وهذا ما حدث في جوناغاذ .

اختارت مقاطعة جوناغاذ في ١٥ آب عام ١٩٤٧ ان تبقى منفصلة ، غير داخلة في الهندستان أو في الباكستان . ولكنها عادت بعد شهر فرأت من مصلحتها ان تنضم الى الباكستان . إلا أن حكومة الهندستان عارضت اولاً في بقاء جوناغاذ منفصلة ، ثم عارضت ايضا في انضمامها الى الباكستان وعدت ذلك مخالفا لروح التقسيم ، اذ ادعت ان في جوناغاذ اكثرية هندوكية . من اجل ذلك طلبت الاستفتاء واشترطت ان يجري هذا الاستفتاء تحت اشراف لجنة مولفة من ممثلين عن حكومة الهند ومن ممثلين عن حكومة جوناغاذ فقط . ثم رأت حكومة الهندستان أيضاً أن هذا الاستفتاء قد لا يكون في صالحها فاقترحت حل المشكلة بالمفاوضة مدعية ان جوناغاذ مقاطعة حيوية للهندستان لاعتبارات اقتصادية وجغرافية وعسكرية . على ان الهندستان لم تنتظر نتيجة المفاوضات ولا الاستفتاء ، بل ارسلت جيوشها واحتلت المقاطعة ووضعت لجنة التقسيم امام امر واقع . ولكن كشمير فيها اكثرية مسلمة تبلغ ثمانين في المائة وهي حيوية للباكستان من الناحية الجغرافية

والاقتصادية والعسكرية ، ومع ذلك فان لجنة التقسيم لم تقتنع بعــد — وبعد اربع سنوات — بانما طُبّق في جوناغاذ — وبغير حــق ، لأن السكان اعلنوا رغبتهم في الانضمام الى الباكستان — يجوز ان يطبق بحق على كشمير . ولكن سبق لي ان قلت انني سأفرد لحيدر آباد و كشمير فصلا خاصا .

ولم يقف الظلم عند حد توزيع الاراضي ، بل ان الهندوس ، والانكليز معهم كما يظهر بوضوح ، أرادوا أن يعرقلوا قيام دولة الباكستان ؛ فسعوا الى ان يحرموها من كل وسيلة من وسائل النهوض ، بل من وسائل الحياة . لقد جعلت دهلي — او دلهي كما يقول الانكليز — في نصيب الهندوس ، وكذلك جعل المرفآن العظيمان بومباي في الغرب وكلكوتا في الشرق في نصيبهم ايضا . وبما ان مصالح الدولة تكون عادة في العاصمة ، وبما ان بومباي وكلكوتا همـا في الهند اعظم اهميـــة من العاصمة بعدد السكان وبالحركة التجارية والصناعية ، ثم هما فوق ذلك مرفآ الهند ومركزا التخزين فيهـــا ، فان معظم الثروة الوطنية ومعظم مرافق الدولة اصبحت بعد التقسيم في قبضة الهندوس . وكان الاتفاق ان توزع هذه الثروة المتفرقة في المقاطعات كلها وهذه المرافق بين الدولتين الطفلتين حسب استحقاقها . امـا الباكستان المسلمة فقد برت بمـا عاهدت عليه ونقلت الى الهندستان نصيبها مما كانت هي تملكه . واما الهندستان الهندوكية فقد

قبضت يديها ولم تؤد الى الباكستان شيئا اصبح في حوزتها ، لا من السجلات ، ولا الاوراق ولا الاثاث ولا من ثروات الدولة . فما ان اعلنت الباكستان دولة مستقلة حتى تلفتت فلم تجد في يديها شيئا يذكر من وسائل تسيير الادارة .

حتى القليل من الاثاث واللوازم الذي لم يجد الهندوس بداً من ارساله الى دولة الباكستان قد هاجمه الهندوس والسيخ في الطريق ونهبوه او اتلفوه . ومنعت الهندستان الفحم عن الباكستان بحجة انه لا يوجد قطر كافية للنقل . ثم ضرب الهندوس الضربة التي ارادوا أن تكون بارعة ، فأبوا تسليم الباكستان حقها من المال المضروب وقدره خمسمائة وخمسون مليون روبية ، رجاءَ أن تعجز الباكستان عن دفع رواتب موظفيها فيقع الاضطراب فيها وتعمها الفوضى ويستحوذ القلق على النفوس فتختنق الدولة الوليدة في مهدها .

ومع هذا كله فقد رضي المسلمون . الم يصبح لهم الآن وطن مستقل يعيشون فيه احراراً ؟ اجل ، انه وطن فقير ، ولكن سيغنيه الله من فضله .

ويجب الا ننسى ان ضعف المسلمين في الهند كان ناتجا عن ان اكثرهم كانوا ملاكين لاصناعاً ولا اصحاب مشاريع . وكانوا منذ الاحتلال الانكليزي اقل اقبالاً على العلم الغربي من الهنود .

كانت الفتن الطائفية مألوفة في الهند كما هي مألوفة في كل صقع يحكمه المستعمرون . ولكن تلك الفتن اتخذت في الهند اتجاها خاصاً . ان الهنود يقدسون البقر . مـن اجل ذلك جرت العادة ان يشتري الاتقياء منهم البقر ثم يطلقوها حتى لا يذلوها بشيء من الفلاحة او الحمل . وكانت هذه الابقار تسرح في المدن والقرى والحدائق والاسواق – وهي حيوانات عجماوات – فتتلف الزرع او تفسد في الاسواق . فاذا اتفق ان رد مسلم بقرة عن ماله او آذاها او ذبحها ثار الهندوس عـلى اخوانهم في الوطن واكثروا فيهم القتل والجراح وتعرضوا هم بدورهم للموت – في سبيل بقرة !

*

ولكن هذا ليس مدار بحثنا الآن . ان بحثنا الآن يتناول تلك المذابح وما تبعها من الدمار والخراب والهدم مما سببته النشوة بقرب اعلان الاستقلال ، ثم مـا حدث بعد اعلان الاستقلال ايضا . ويظهر ان اضطرابات صغرى قد حدثت بين الطرفين منذ آب ١٩٤٦ ثم اخذت تتسع وتشتد : نهبـا وحرقا واغتيالاً حتى اجتمع محمد علي جناح وغاندي وكتبا بينهما كتابا اعلنا فيه استنكارهما لاعمـال العنف في سبيل الوصول الى الاستقلال . ثم انهما وقعا هذا الكتاب في الخامس عشر من نيسان ١٩٤٧ ، قبل إعلان الاستقلال باربعة اشهر .

وكذلك هذا ايضا لا قيمة له في بحثنا . ولقد كان مثله او أشد منه خليقا ان يحدث في كل مكان ، ان لم يكن على اساس الدين فعلى اساس القومية مثلاً . فأي حركة خلصت من الاضطرابات الداخلية ؟ لا الثورة الفرنسية في فرنسة ولا حركة الاصلاح الديني في فرنسة وانكلترة ، ولا حروب الاستقلال في الولايات المتحدة وفي البلقان وفي دول أواسط اميركة وجنوبها الى اليوم .

*

وظلت هذه الاضطرابات في نطاقها الضيق حتى اقترب يوم الاستقلال . واستبق الهندوس اعلان الاستقلال رسميا ، ففي اليوم الثالث عشر من آب — قبل اعلان الاستقلال بيومين اثنين فقط — جاءت انباء مذبحة كبرى من بلدة اميتسار عاصمة السيخ ، وكانت مذبحة منظمة غادرة . في بلدة اميتسار في شرقي البنجاب ، الذي جعل من نصيب الهندوس ، خمسمائة الف ساكن منهم مائتا الف مسلم (أي اربعون في المائة من مجموع السكان) . لقد أغار السيخ على إخوانهم في الوطن . إغارة منظمة محكمة مدعومة بلا ريب حتى ان جميع المسلمين الذين كانوا في تلك البلدة قد قتلوا في مدى يومين او أخرجوا من ديارهم واموالهم .

وانتشرت اخبار اميتسار في طول البلاد وعرضها ، فحدث لها ردّ فعل عنيف في الهندستان والباكستان . ثم استحوذ الخوف على النفوس وبدأت سيول المهاجرين تتدفق

من الهندستان الى الباكستان ومن الباكستان الى الهندستان اياماً واسابيع .

ثم ان هـذا ايضا كان منتظراً فان الامم التي تخطب استقلالها يجب ان تدفع مهره اموالاً وانفساً وخوفاً وشقاءً ، وخصوصاً في الاماكن القاصية البعيدة عن عيون الحكومة في مركزها . على ان حوادث دهـلي خطت في تاريخ الاضطراب صفحة جديدة غير مشرقة ولا مشرّفة .

كانت حكومة الهند قد استقرت في دهلي وملكت زمامها وجعلتهـا عاصمة الدولة الهندوكية . وظن الناس ان التوتر بين الدولتين التوأمين قد زال لما عاد السردار باتل مندوب الهندستان في الثالث من ايلول (عـام ١٩٤٧) من مؤتمر مشترك عقد في لاهور بالباكستان . هـذا المندوب ادلى بتصريح عام في الثالث من ايلول نفسه يدعو عامة الناس الى الهدوء وموظفي الحكومة الى القيام بواجبهم وخصوصا نحو اخوتهم واخواتهم الهندوس والسيخ اللاجئين من البنجاب . ثم قال انه يدرك ان لاجئين كثيرين قـد احتملوا أصناف الآلام والشقاء ومروا في مخاوف لا توصف او كانوا فريسة فظائع لا يصدق العقل ما صحبها من الوحشية . فمن قوله : إنهم قد شهدوا جحيماً من العذاب انحط فيه معذبوهم الى درك اسفل من ذلك الذي يمكن ان تكون فيه اعظم الوحوش ضراوة . ثم ان السردار باتل نصح بني قومه الهندوس الا يلجأوا الى الاخذ بالثأر او الانتقام ، لأن كل عمل في هذا الباب

يمكن ان يوقع على إخوانهم الباقين في الباكستان اذى جديد .

الا ان هذه النصيحة المبطنة بالتحريض لم يمكن ان يكون لها سوى نتيجة واحدة وسريعة أيضا . ففي اليوم التالي لخطبة السردار باتل في دهلي – وكان يوم الخميس في الرابع من ايلول – بدأت الاغتيالات ثم كثرت حتى دعا ذلك الى فرض منع التجول في العاصمة . ثم اتسع نطاق الاغتيالات والحرائق اتساعا اقتضى دعوة رجال الجيش . ولم تعد الحال الى شبه استقرار الا بعد بضعة ايام . وفي الثاني عشر من ايلول استأنف السردار باتل نصائحه الى الشعب بأن يلزم الهدوء – ولكن من محطة الاذاعة هذه المرة . على ان هذا الهدوء لم يبدأ الا في الخامس عشر من ايلول [1] ، ذلك لأن المسلمين كانوا قد لقوا على ايدى الهندوس قتلا ذريعا وتشريداً فظيعاً وتعذيبا مريعاً ، في قلب العاصمة الهندوكية وتحت بصر رجال الشرطة والجيش وسمعهم . اما في المناطق البعيدة عن العاصمة فان حكومة الهندستان استعملت سلاح الجيش البري والجوي ايضا ، لقمع الاضطرابات في مناطق اكثريتها هندوس وسيخ والاقلية فيها مسلمة !

ولكن القصة لم تنته هنا ، بل بدأت . فان الهندوس والسيخ الذين كانوا يهاجرون من الباكستان كانوا يخرجون

---

(١) هذه الحقائق مأخوذة من كتاب اصدرته حكومة الهندستان .
After Partition, Modern India series — 7, Issued by the Publication Division, Ministry of Information and Broad - casting, Government of India, Delhi 1948, PP. 41 ff.

تحت اشراف لجنة رسمية حاملين معهم اموالهم وأثاثهم . وقد هاجروا بالوسائل الآتية :

٤٢٧٫٠٠٠ بالسيارات

١٫٣٦٢٫٠٠٠ بالقطر الحديدية

٨٤٩٫٠٠٠ بالعجلات التي تجرها الحيوانات

١٣٣٫٠٠٠ بالبواخر

٢٧٫٥٠٠ بالطائرات

اما المهاجرون المسلمون فكانت قصتهم مأساة حقيقية : لقد اخرجوا من ارضهم وبيوتهم واموالهم تحت النار والرصاص . وقد قطع اكثرهم مسافات تبلغ احيانا مئات الاميال مشيا على أقدامهم فلم يصل الى الباكستان الا اقلهم. اما سائرهم فقد ماتوا في اثناء الطريق من البرد والحر والجوع والاعياء او غرقا في الانهار او ضلالاً في البوادي والاحراج .

واما الذين ظنوا انفسهم محظوظين حينما اتيح لهم ان ينتقلوا بالسيارات وبالقطر الحديدية فقد خاب ظنهم . لقد كان هؤلاء معرضين طول الطريق التي قطعوها في الهندستان لهجمات الهندوس والسيخ في كل محطة - اجل ، في كل محطة ! ولقد كانت تلك السيارات او القطر تصل فعلا الى حدود الباكستان ، ولكنها كانت تصل فارغة او مملوءة بالجثث وبالمشوهين فقط .

وكانت السلطات الاسلامية كلما احتجت الى لجنة التقسيم الانكليزية وعدتها اللجنة بالتحقيق ثم لا يحدث شيء إلا اعتداءات جديدة من جانب الهندوس على المسلمين . واذا

كنا لا نزال نذكر ما حدث للعرب في دير ياسين بفلسطين على يد اليهود ، فان هذا نفسه قد حدث للمسلمين في الهندستان على يد الهندوس ، ولكن على نطاق واسع جداً !

واستمر المسلمون يهجرون الهندستان بالملايين تاركين وراءهم اموالهم واملاكهم ، هاربين بايمانهم الى الباكستان لا يبالون بما ينتظرهم في اثناء الطريق من المخاطر والعدوان . بل ان ايمانهم لم ينقص من جرّاء ذلك ذرة واحدة . لقد كان احدهم اذا وصل الى حدود الدولة الاسلامية فقيراً مشوها عاجزاً ، فما ان تطأ رجلاه ارض الوطن الجديد حتى يسجد على جنبه الصحيح شكراً لله على ان اصبح للمسلمين دار امان في ارض الهند !



لياقت علي خان ، رئيس الوزارة الباكستانية

ولما تحرك المسلمون إشفاقا على ما يصيب اخوانهم المهاجرين وطلبوا من حكومتهم ان تعامل الهندوس كما تعامل الهندستان المسلمين ، نهض رئيس الحكومة وقال :

لا ، نحن لا نفعل ذلك لأننا مسلمون !

وبعد عامين اثنين تفتح نشاط المسلمين في دولتهم الجديدة واصبحوا اغنياء اقوياء مرهوبي الجانب ، فصرف الله عنهم عذاب الهندوس والهندستان .

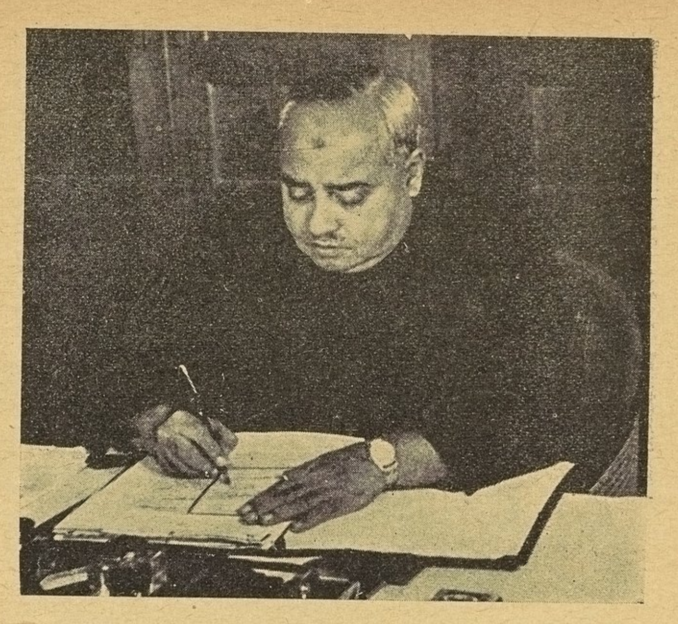
- ٤ -

حكومة تريد ان تنشىء دولة

لن استطيع ان اكتب كل شيء عن الباكستان ، فانا لم امكث فيها سوى تسعة ايام قصار ، وكذلك لم اشاهد سوى مدينة واحدة ، او سوى جزء من مدينة واحدة على الاصح . ولكن ذلك لن يضيرني في ما اريد ان اكتبه ، فاني لن اتكلم عن الحجر المتفرق في رقعة الباكستان المتسعة ، بل عن البشر الذين اجتمعت نفوسهم على مثل اعلى واحد وإن تفرقت ابدانهم في البلاد .

*

كانت أولَ كلمة اعلنها محمد علي جناح مؤسس دولة الباكستان بعد ان اصبحت هذه الدولة حقيقة واقعة ، قولُه : سنقضي على الرشوة والفساد الموروثين من عهد الاستعمار . ولقد بر محمد علي جناح بقوله فحاول جهده ان ينفيَ من الدولة الاسلامية الناشئة ذلك الفساد الموروث . ولما توفي سار قادة الباكستان على آثاره ، فالرشوة ممنوعة والسوق السوداء مفقودة والامن مستتب والتصدير والتوريد



الحاج الخواجا ناظم الدين خان الحاكم العام لدولة باكستان

مراقبان . ومع العلم اليقين بانه ما من دولة تستطيع ان تقضي على مظاهر الفساد في البلاد ولا ان تجتث جذوره من صدور الناس ، فان ثمت فرقاً ظاهراً بين دولة تسعى جهدها ثم تقف دون غايتها قليلا وبين دولة اخرى تطلق للفساد في ارضها العنان .

الاقتصاد والسياسة صنوان وعمادان لكل دولة . واذا كانت التربية السياسية ، بما فيها من حياة اجتماعية وسلوك اخلاقي وتهذيب نفسي ، لا تتأتى الا في السنين الطوال ، فان التوجيه الاقتصادي يجب ان يبنى على الحزم والاسراع

في اتخاذ الاجراءات . ولقد ادركت الباكستان انها ولدت فقيرة . ان الاجانب كانوا يستغلون مرافق الحياة في الامبراطورية الهندية كلها فعمدت الى سياسة اقتصادية حكيمة :

لقد نظمت التصدير والتوريد فجعلت جميع الصادرات خاضعة لمراقبة الدولة . فبدلاً من ان يربح المهربون الاجانب الارباح الفاحشة من الصادرات بعد ان يرضوا زملاءهم الوطنيين بدريهمات قليلة ، اصبحت الارباح الحقيقية تصب في ميزانية الدولة نقدا نادراً ، واخذت الثروة الوطنية تزداد يوما بعد يوم . اما في باب الاستيراد فلم تسمح الدولة الا بما تحتاج اليه الدولة في نشأتها من الآلات والادوات والموادّ الاولية ومن بعض ما لا بد منه للبلاد . اما اسباب الترف فلا يمكن ان تنفذ الى الباكستان بسهولة . ان الشاي الباكستاني أقل قيمة من الشاي السيلاني ، ولكن على الباكستانيين ان يرضوا بشايهم حفظا لثروتهم . وكذلك ليس من الضروري ان يقدم الباكستانيون لضيوفهم قهوة مصنوعة من البن العدني ولا بسكوتا من صنع انكلترة . حتى الكوكاكولا ليست موجودة .

في هذه الاثناء عمدت الباكستان الى توسيع الحياة الاقتصادية فشجعت تأسيس المعامل وتأليف الشركات الوطنية . فهنالك اليوم شركات للملاحة وللطيران ومعامل للنسيج ولقطع السيارات وللمصابيح الكهربائية وقطع السكك الحديدية وللسلاح وللورق والمطاط وسواها من

الصناعات الخفيفة والثقيلة . فهنالك مثلا في غربي الباكستان عشرون معملًا لصب الحديد والفولاذ وستة وعشرون مصنعاً لتركيب القطر الحديدية وإصلاحها . ثم سنت الحكومة القوانين لتنظيم الصناعات وحمايتها من المزاحمة الخارجية وساهمت في تأسيس المعامل . من ذلك مثلًا أنها اتفقت مع مؤسسة عجمي واولاده على استحداث ثلاثة معامل للخيش يضم كل معمل منها الف نولٍ ، على ان يدفع اصحاب المؤسسة نصف رأس المال (وتدفع الحكومة النصف الباقي) . وسيكون المعمل الاول جاهزاً في نيسان ١٩٥١ . وتنوي الحكومة الباكستانية ان يكون عدد معامل الخيش المستحدثة حتى عام ١٩٥٥ عشرة .

ان الحكومة الباكستانية بعملها هذا قد حملت الخزينة عبئا ثقيلا ، ولكنها عملت على زيادة الثروة الوطنية زيادة كبيرة . ان المحصول الاول في الباكستان هو القنب الهندي ، اي النبات الذي تصنع من أليافه الحبال والخيش . والباكستان تنتج اكثر من ثلاثة ارباع محصول العالم من هذه المادة ، ولكنها تنتج مائة بالمائة من القنب الجيد ، فلا عجب اذن اذا سمى الباكستانيون ألياف القنب خيوط الذهب ! ولا غرو ان تهتم الحكومة به هذا الاهتمام .

وكما ان الطبيعة قد أغنت شرقي الباكستان بالقنب الهندي ، فانها انعمت على غربي الباكستان بالقطن . فالقطن هناك هو المحصول التجاري الثاني بعد الخيش ، وان

كان محصوله لا يزيد على ستة في المائة من مجموع المحصول العالمي . وعرف الباكستانيون للقطن ايضاً فضله فسموا خيوطه خيوط الفضة .

والباكستان تحتاج الى معظم قطنها للاستهلاك المحلي في صناعة النسج . ولكن بما ان « صناعة الغزل والنسيج » لم تبلغ بعد أشدها ، فـان الباكستان لا تزال تصدر بعض قطنها خاماً ثم تستورد بعض المنسوجات القطنية . الا ان اقامة المعامل للغزل والنسيج هي اليوم شغل البلاد الشاغل .

كنا مرة ذاهبين الى حفلة شاي اقامتها لنا شركة معامل النسيج المتحدة في كراتشي يوم السبت في العاشر من شباط ١٩٥١ . وكانت الحفلة تحت رعاية الحاج الخواجا ناظم الدين الحاكم العام للباكستان ، وقد حضرها شخصياً .

نزلنا من السيارات ثم سرنا مسافة طويلة قبل ان نصل الى السرادق المنصوب للضيوف . وقـد كان مسيرنا بين صفوف متلاحقة من الآلات والادوات . فالتفت الي عضو كبير في احد الوفود العربية وسألني : أهذا « محل » لبيع الآلات ؟ فقلت له : لا . ألم تقرأ الدعـوة ؟ اننا مدعوون الى مشاهدة معمل جديد للنسيج . وهـذه الآلات ليست سوى جزء من المعمل الذي سيتم تركيبه قبل نهاية هـذا العام .

✡

والحكومة الباكستانية تعمل جاهـدة عـلى كشف

الثروات الطبيعية في الارض كالملح والجبس (الجفصين) ورمل الزجاج والتوابة الافرنجية والاملاح المعدنية والكبريت والكروم (الضروري لصناعة الفولاذ) والاثمد (وهو ضروري في صناعة الحديد والصناعات الحربية) والفحم والحديد والنحاس والذهب والبترول . على ان الارض الباكستانية لم تنكشف بعد عن مناجم غنية للبترول والذهب والنحاس والحديد والفحم .

هذه المشاريع الاقتصادية الواسعة تحتاج الى رؤوس اموال ضخمة والى آلات وادوات لا تصنع كلها في الباكستان . من اجل ذلك سمحت الحكومة بدخول رؤوس الاموال الاجنبية ولكن بشروط قاسية ، منها ان يكون استثمار تلك الاموال لغايات صناعية واقتصادية بحت . ولكن هذه القيود لم تشجع اصحاب الاموال الاجانب على المغامرة في المشاريع الاقتصادية وحدها . ومع ان هذا قد يؤخر اتساع العمران من ناحية ، فانه من ناحية ثانية يفسح المجال امام رؤوس الاموال الوطنية ويوفر على البلاد مشاكل سياسية لا حصر لها !

واذا كانت صناعة بلد ما منظمة الى هذا الحد فلا بد من ان يكون الميزان التجاري فيه معتدلاً جداً .

الباكستان بلد زرع ومرعى في الاكثر ، وفيه من المواد الاولية الخيوط كالقنب الهندي والقطن والصوف ، ثم فيه الشاي والحبوب والجلود مما تحتاج اليه الاسواق العالمية

حاجة شديدة . فالخيوط تـأتي في باب التصدير في المرتبة الاولى ، وقد صدرت الباكستان في عام ١٩٤٩ – ١٩٥٠ تسعين بالمـائة من محصول القنب وقبضت ثمنه خمسمائـة وعشرين مليوناً من الروبيات . وكذلك صدرت اكثر من ثمانمائة الف بالة قطن ثمنها ثلاثمائة وخمسة وخمسون مليون روبية . ثم هي تصدر في العام نحو عشرين الف طن من الشاي وما يزيد على نصف مليون طن من القمح .

*

ولا يحفظ الثروة الوطنية في بلد شيء كالمصرف الوطني ، فالامة التي تترك زمام عملتهـا في يد الاجنبي لا يمكن إلا ان تكون امة مقودة . وقد عرف الاجانب ذلك ، فما كادت الباكستان تنفصل عن الهند حتى غادرها اصحـاب البنوك والموظفون غير المسلمين رجاء ان يقف دولاب المال في الدولة الناشئة فتتعرقل اعمالها وتتلاشى حياتها الاقتصادية .

واستطاع قادة الباكستان أن يخرجوا من هذا المأزق بان وضعوا للحياة المالية منهاجين : منهاجاً قصير الامد يقوم على اغراء اصحاب المصارف الموجودة بالبقاء لقاء امتيازات حاتمية . وهكذا بقي أربعة وثلاثون مصرفا اجنبيا وموظفون في تلك المصارف من غير المسلمين كفلوا تسيير شؤون المال والتجارة على نطاق ضيق ، ولكنهم حموا الحيـاة الاقتصادية في البلاد من التدهور والخمود .

أما المنهاج الطويل الامـد فكانت غايته انشاء مصرف

وطني واعداد موظفين وطنيين أمناء على ثروة الباكستان ورقيها الاقتصادي . ولكن انشاء مصرف وطني يتمتع بثقة اصحاب الاموال الوطنيين ويكون له في الوقت نفسه مقام مرموق في عالم التجارة الخارجية — وخصوصا في تلك الازمات القاسية التي مرت بالباكستان — لم يكن امراً يسيراً .

واستطاعت الباكستان في مدى عشرة اشهر من استقلالها ان توجد مصرفين احدهما المصرف القومي ورأس ماله ستون مليون روبية ساهمت الحكومة بربعها ، ثم مصرف الدولة الذي وضع له رأس مال مبدئي قدره ثلاثون مليون روبية مقسومة على ثلاثمائة الف سهم . وقد غطت الحكومة واحداً وخمسين بالمائة من الاسهم وطرحت الاسهم الباقية في الاسواق المالية ليحملها الوطنيون .

هذا المصرف هو مصرف الاصدار والاحتياط . ولقد اوجبت الحكومة على سائر المصارف في الباكستان ان تودع في هذا المصرف جزءاً من مالها الاحتياطي فبلغ ذلك في ٣١ آذار ١٩٥٠ ملياراً ومائتي مليون روبية .

وهكذا لم يجد الاجانب المستعمرون منفذاً الى أسس الاقتصاد في الدولة الناشئة .

ولم تكن حاجة الباكستان الى مصرف وطني فقط ، بل كانت تحتاج ايضاً الى عملة وطنية ، فاستطاعت ان تطرح تلك العملة في الاسواق في ٣١ آذار عام ١٩٤٨ .

وسرعان ما تمتعت العملة الباكستانية بمقام مرموق في الاسواق الدولية لحاجة تلك الاسواق الى المواد الاولية التي تنتجها الباكستان .

ألا إنّ كل استقلال سياسي لا يتبعه استقلال مالي لا يمكن إلا ان يكون استقلالاً ناقصاً !

- ٥ -

سياج الوطن

لقد كان من المستحيل على المسلمين ان يعيشوا مع الهندوس في وطن واحد ، ولذلك قامت الباكستان . على ان العداوة – بعد انفصال الدولتين – لم تمت ، ولذلك ترى الباكستان نفسها مجبرة على ان تخص الجيش بواحد واربعين بالمائة من ميزانيتها ؛ ولا غرو فالجيش ، في البر والبحر والجو ، سياج الوطن . ولعلك تعذر الباكستان في ذلك اذا علمت ان الهندستان تنفق على الجيش ستاً واربعين بالمائة من مجموع الميزانية .

تحتاج الباكستان الى جيش كبير قوي ، بل هي في الحقيقة محتاجة الى جيشين كبيرين قويين ليكون احدهما في الجزء الشرقي والآخر في الجزء الغربي ، ذينك الجزئين اللذين يبعد احدهما عن الآخر مسافة تزيد على الف ميل ! وتزيد تلك الحاجة الى دفاع قوي اذا اعتبرنا ان الهندستان تتاخم الباكستان من اكثر جهاتها ، وخصوصاً البنغال – الجزء الشرقي – الذي تحيط به اراضي الهندستان من جهات ثلاث . ثم ان منفذ ذلك القسم على المحيط الهندي واقع

بين شاطئين هندستانيين . وتزيد المشكلة تعقداً اذا علمنا ان الهندستان لا تزال تعتقد ان بعض التخطيط الحالي موقت . ثم ان الباكستان تتاخم دولاً كبرى محاربة كالصين والاتحاد السوفياتي .

ولكن الجندي الباكستاني معروف بالشجاعة والطاعة ، ولا سيما اذا كان من الباتان ، اي من سكان المقاطعات الشمالية الغربية من الباكستان . والباتان قبائل جبلية قوية الشكيمة ابية النفس بارعة في القتال وطيدة الايمان . انهم « دروز » الهند . هذه القبائل لم تخضع للانكليز قط ـ طوال القرون الثلاثة التي جعل فيها الانكليز من الهند كلها امبرطورية لهم . ولم يضع رجال الباتان السلاح عن اكتافهم من قبل ولن يضعوه بعد اليوم حتى تطمئن الباكستان وتصبح عزيزة مرهوبة الجانب في كل مكان . ولقد رأيت انا وفودهم تحضر الدورة الثانية من مؤتمر العالم الاسلامي وبنادقهم معلقة باكتافهم الشامخة . وكم كانت تتضاءل عنجهية العروبة في نفسي حينما كنت اسمعهم يصرخون ـ وقليلا ما كانوا يتكلمون ـ : « فلسطين قبل كشمير ! »

*

ولقيت الباكستان مصاعب كثاراً بعد انفصالها عن الهند في اعادة تنظيم الجيش ، ذلك لأن جنودها كانوا مفرقين في البلاد ، ولان عدد اصحاب الرتب العليا من المسلمين كان قليلا ـ وذلك من اثر السياسة البريطانية في تنظيم الجيش

الهندي مـــن قبل . ثم جاءت الفتن والاضطرابات وسيول اللاجئين فاشتدت وطأة المهمة الملقاة عـلى عاتق الجيش . وكذلك لم تكن المعدات العسكرية بايدي الجنود كافية ، فان الهندستان لم تدفع الى الباكستان نصيبها الكامل من المعدات التي كانت في يدها لما غادر البريطانيون الهند .

ومع هذا كله فان الايمان والحكمة وحب الوطن قـد سهلت على الدولة الناشئة تنظيم جيشٍ يستطيـع ان يؤدي واجبه في المهـــات على اكمل وجـــه . وليس الجيش الباكستاني اليوم — مع كل ما قام في وجهه من المثبطات – اقل قوة من الجيش الهندي ، على ما بين عدد النفوس في الدولتين من الفرق الكبير .

واحبت الباكستان ان تستفيد من المرأة الباكستانيـة في الجيش . ألم تكن النساء في صـدر الاسلام يذهـبن في الغزوات ، ينقلن الماء ويشجعن الرجـــال ويضمدن الجراح ، أو يحملن السلاح ليقاتلن عند الضرورة ؟ كذلك فعلت الباكستان فانشأت من الفتيات فوجـين في الحرس الوطني يقمن باعمال الاسعاف والتمريض ، ولكن يتمرنّ ايضا على استعمال الاسلحة الخفيفة . ولـما شاهد امبرطور ايران في اثناء زيارته للباكستان فتيات الحرس الوطـــني يسرن في الاستعراض بقدودهن الرشيقة وثيابهن الانيقة ويحملن بايديهن السلاح قال : هذه خطوة يجب على جميـع الشعوب الاسلامية ان تخطوَها !

وكانت اعادة تنظيم الاسطول أشق من اعادة تنظيم الجيش .

لما اقتسمت الهندستان والباكستان الاسطول الهندي كان نصيبَ الباكستان ثماني قطع حربية متوسطة وثمانٍ صغرى . ولكن هذه القطع ليست كافيـة للدفاع عن شواطىء الباكستان ، وما تفعل ست عشرة قطعة حربية صغيرة في حماية شواطىء تمتد الفاً ومائتي كيلومتر ، ثم هي قسمان يفصل بينهما اربعة آلاف كيلومتر اخرى من الشواطىء الهندستانية ! ومع ان الباكستان قد عززت هذه النواة الصغيرة لاسطول المستقبل ببضع مدمرات ، فان المشكلة الحقيقية نشأت من ان قسماً غير قليل من بحارة الاسطول الهندي المسلمين ، ولا سيما اصحاب الرتب العليا ، قد اختاروا أن يبقوا في الهندستان . وهكذا قلت نسبة الضباط في الاسطول الباكستاني بالاضافة الى عدد البحارة من الجنود العاديين . وهنالك ايضا مشكلة أخرى : ليس في الباكستان احواض لاصلاح السفن ، فعلى السفن المحتاجة الى الاصلاح ان تتوجه الى سنغافورة في اقصى الجنوب من قارة آسية ، او الى مالطة في منتصف البحر الابيض المتوسط ، او الى بريطانية في غربي اوروبة . ولكن ينتظر ان تنشىء الحكومة قريباً حوضاً جافاً لاصلاح السفن .

وفي الاسطول اليوم فتيات على مثال ما في الجيش ، ولكنهن متطوعات .

اما في الطيران – وهو سلاح المستقبل – فان الباكستان قد حققت تقدماً كبيراً جداً . انها تعزز اسطولها الجوي بآخر مبتكرات الطيران الحربي في الطائرات العادية والطائرات النافورية وفي الطيران الشراعي وفي انشاء محطات للملاحظات الجوية وللرادار ، وبانشاء مدارس التعليم والتمرين ، وحبا منها في تهيئة اعصاب الجيل الناشىء وصقل مواهبه للطيران وفنونه . انشأت الباكستان فرق « الكشافة الجوية » . يلحق الناشئون بمدارس تعلمهم الطيران نظرياً وعمليا وتمرنهم منذ نعومة اظفارهم على امتطاء الجو ، فتقل في نفوسهم رهبته اذا شبوا وتعظم خدمتهم لبلادهم وامتهم اذا دعاهم داعي الوطن . ان الامة التي تود ان تظل حية في المستقبل يلزمها ان تعبىء وسائل الحياة لنفسها قبل ان يفجأها المستقبل بعجائبه !

- ٦ -

الاسلام اساس الحياة

ليس الاسلام صباغاً ظاهراً على الحياة الباكستانية ، بل هو نسيج هذه الحياة كلها . ان التشريع يقوم في اساسه على الاسلام ، والادارة تدور كلها على الاسلام ، فللحُجاج وزارة ملحقة بوزير الخارجية . ولعلك ، اذا درست الناس عن كثب وراقبت اعمالهم في البيت والشارع وفي المجالس والمجتمعات ، لا تضيع تلك الروح الدينية الشائعة في الحياة الباكستانية . ولا غرو ، فلولا الاسلام لما قامت دولة الباكستان .

كنت يوم الجمعة في التاسع من شباط ذاهباً الى صلاة الجمعة ، فلما نزلت من السيارة ابتدرني رجل من عُرض الناس بالسلام ، ثم قال لي : أأنت عربي من الوفود التي جاءت الى حضور مؤتمر العالم الاسلامي ؟ فقلت نعم ! فأمسك بعضدي وهزه هزاً رفيقاً ثم قال : أصحيح ان قبة المسجد النبوي في المدينة مهددة بالسقوط ؟ (وكانت الاخبار قد تواترت بذلك) . ولكنه لم ينتظر جوابي بل تابع حديثه قائلاً : أتريد او تسمح بان نجمع نحن هنا

مبلغاً كبيراً لاصلاح تلك القبة . اننا نحن المسلمين في الهند قـد قمنا بمثل هذا الجمع مرات كثيرة من قبل .
فشكرته ثم قلت له : اطمئن ، يا صاحبي . انـني علمت قبل مغادرتي بـيروت ان اصحاب الجلالة ملوك العرب قـد اهتموا بذلك ، وسترمم تلك القبة المقدسة قريباً .
ثم تركته ودخلت المسجد .

وكراتشي ليست بلداً تاريخياً ، ولم تكن من المدن المزدحمة بالسكان ، فليس فيها مساجد اثرية ولا مساجـد متسعة . ولكن لما اصبحت عاصمة للدولة وازدحمت بالسكان عظمت الحاجة فيها الى الابنية من كل نوع فاذا البناء فيها منذ اربعة اعوام على قدم وساق . ولا يزال البناءون مقصرين عن سد حاجات الناس .

والمسجد الذي صليت فيه تلك الجمعة كان قيد البناء ايضاً : كان ثلثه مسقوفاً ، وثلثه لم يجف سقفه بعد فتنزعَ من تحته دعائم الخشب ، وثلثه فضـاء . والقى الاستاذ سعيد رمضان – وقـد عرفته بيروت وطرابلس ودمشق وحلب وسواها مـن البلدان العربية – خطبة باللغة العربية فأطال وأجاد حـتى اخذ بمجامع قلوب الذين يعرفون العربية من المصلين . ثم صُليت الظهر . وبعد الصلاة قام واعظ خطب بالاردية . كل هـذا والناس تحت شمس كراتشي المحرقة في اماكنهم لا يريمون . لقد شغلهم الاسلام عن كل ما سواه .
ان سياسة الباكستان الاسلامية ليست فرضاً مـن حكومة

مستبدة على شعب مائع ، بل هي رغبة شعب مؤمن قوي تنفذها حكومة مخلصة عادلة .

وكانت صور الحياة الاسلامية الصحيحة تتوالى امام عيني في كل يوم وفي كل مكان حتى عنّ لي ان اصارح بعضهم القول فأسأل ما اذا لم يكن لذلك شواذّ . أليس هنالك أماكن لبيع الخمر ، ومراتع للهو ؟ فقيل لي : ومن يدري منا ! لعل ثمت هذا واكثر . ولكنّ ثمت فارقاً بين دولة يفوتها ان تضع قبضتها على آخر حانة في البلاد وبين دولة تصدر باسمها وبخاتمها اجازات لبيع الخمر وتوزيع اللهو .

ومن الاتجاه الصحيح في سياسة الدولة ما سمعته مرتين أَو ثلاثا من ان سماسرة للافلام جاءوا بشيء من الانتاج الرائج لعرضه في الباكستان . فلما عرضت النماذج على لجنة المراقبة لم يكن من هذه اللجنة إلا ان منعت عرض الافلام العربية لكثرة ما فيها من المناظر التي تنافي الاسلام ، وتحول بين الدولة وبين ان تنشىء جيلا صحيح الاخلاق سليم الابدان مترابط الاواصر موّحد العقيدة . وما يقال عـــن الافلام العربية يقال عن الافلام غير العربية ، فلقد حرصت على ان اقرأ اعلانات السينما على الجدران فلم اجد فيها ذلك التلويح بالفسق الذي أراه موزعاً في شوارع بيروت .

*

ولا يستطيع الباكستاني ان يجعل نطاق الدين ضيقا ، بل يراه يشمل كل شيء .

في احدى جلسات المؤتمر وزعت علينا نشرة بالانكليزية اسمها : « مبادىء اساسية لاقامة دولة اسلامية » ، وضعت في اجتماع للعلماء من اتباع المذاهب المختلفة . في هذه النشرة ملاحظات أقرها المجتمعون فأحببت ان اثبت منها ما يلي (الارقام هي ارقام المواد في الاصل) :

١ ـ ان السلطة المطلقة على الطبيعة وعلى جميع القوانين راجعة الى الله رب العالمين .

٢ ـ ان قانون البلاد يجب ان يبنى على القرآن والسنة . ولا يجوز ان يسن قانون او ان يعمل به (ان كان مسنونا من قبل) اذا كان يناقض ما جاء في القرآن والسنة .

٣ ـ أن الدولة (الاسلامية) لا يجوز ان تُبنى على الاعتبارات الجغرافية او الجنسية او اللغوية او اي اعتبار مادي آخر ، ولكن على المبادىء والغايات المعروفة في نظام الحياة الاسلامية .

١٢ ـ يجب ان يكون رئيس الدولة رجلا مسلما يثق الشعب او ممثلو الشعب بتقواه وقدرته وصحة عقله .

١٤ ـ ان حكم رئيس الدولة على الرعية لا يكون استبداداً بل شورى ...

١٥ ـ لا يحق لرئيس الدولة ان يعلق تنفيذ الدستور ولا أن يعلق بعض مواده .

١٦ ـ ان الهيأة التي اعطيت السلطة لانتخاب رئيس الدولة يجب ان تكون لها السلطة على خلعه باكثرية الاصوات .

١٧ – يكون رئيس الدولة – فيما يتعلق بالحقوق المدنية – مساويا لكل مسلم آخر ولا يجوز له أن يتخطى القوانين .

٢٢ – كل تأويل للدستور يخالف مضمون القرآن والسنة لا ينفذ شرعاً .

كنت أود ان اذكر اسماء العلماء الذين اجتمعوا واتخذوا هذه المقررات واذكر مراكزهم الدينية والاجتماعية والمدنية ، ولكن ذلك وراء قصدي من اثبات المواد المذكورة آنفا . على انك قد تقول ان هذه المواد لا تعدو أن تكون رأياً شخصيا لثلاثين عالما او أكثر او أقل ، ولا يمكن ان تعبر عن رأي الدولة . لا ، ان الامر على خلاف ماقد نظن ، وان نفراً من هؤلاء مشهود لهم بالتقوى او بالعلم او بالاخلاص . ثم ان الدولة لا تخرج في رأيها عن هذه القيود .

كتب الدكتور اشتياق حسين قرشي ، حامل حقيبة اللاجئين والاسكان في وزارة الباكستان ، مقالاً عنوانه « دستور الباكستان المقبل » ظهر في مجلة « باكستان » في كراتشي ، وفي « المجلة الاسلامية » في لندن [١] . قال الدكتور قرشي :

« ان دستور كل دولة يجب ان يكون مرآة للمثل

---

(١) Pakistan, Vol. I, No. 4 (August 1950) pp. 5 - 8, 81; Islamic Review, Vol 38, No. 12 (Dec. 1950) , pp. 31 - 5 .

العليا التي يريـد شعب تلك الدولة ان يجعلها اساسا لحياته السياسية . وتلك المثـل العليا في الباكستان لم تكن يوما ما موضوع جدال ولا غامضة . ولقـد أبرزت الآن واضحة في المقررات الموضوعية التي اتخذها المجلس التأسيسي . إن أبرز خصائص تلك المقررات ان يكون دستور الباكستان منبنيا على المثل العليا في الاسلام » . ثم يمضي الدكتور قرشي في شرح ذلك وتفريعـه . وهو ايضا لم يتعرض لحمل تبعة هـذه الكلام من عند نفسه ، بل اعتمد في ذلك على المقررات التي اتخذها المجلس التشريعي .[2]

ولو أنك استعرضت معظم نواحي الحياة في الباكستان لما رأيتها تبتعد عن هذه الاسس كثيراً ، فدعني اضرب لك مثلاً من اسماء البيوتات التجارية . هنالك شركة كبرى اسمها « شركة بان إسلامك للملاحة » (الشركة الاسلامية ، الجامعة للملاحة) ، وهنالك زيوت « ماركة المجاهـد » . وهنالك « المخزن الاسلامي » .

مثل هذه الروح في دولة ما تؤدي رسالتين : رسالة الخلق النبيل في العزة والاخوة ثم رسالة الرقابة على الحكومة . تلك هي عناصر الشورى الصحيحة واسس الدولة الديموقراطية الحق .

---

(2) Cf. Pakistan op. cit. P. 7.

- ٧ -

شقائق الرجال وامهات الابطال

كيف يمكن لأمة ان ترقى اذا كان نصف افرادها محبوساً في البيوت ؟ هذا هو السؤال الذي ما زال يشغل العالم الاسلامي منذ الف عام ، منذ اليوم الذي جهل اكثر المسلمين حقيقة الحجاب الشرعي فشلوا حركة المجتمع الاسلامي إذ فرضوا على المرأة حياة أرستوقراطية معزولة جامدة .

وانني ارى مخلصا ان صورة الباكستان لا يمكن ان تكون قريبة من التمام اذا اهملنا الكلام على المرأة فيها ، ذلك المظهر العظيم من مظاهر التطور والرقي في تلك الدولة الناشئة . ولكن لا بد من تقديم كلمة موجزة في الحجاب في الشرق الاقصى .

كان الحجاب في الهند كلها وفي ما جاورها من الاصقاع أيضا شديداً جداً . وهو يعرف هنالك باسم « البُردة » . اما اليوم وفي كراتشي خاصة فالبردة نادرة ، ولم أر أنا في نطاق تجولي سوى نساءٍ معدودات يتخذنها زياً لهن .

والبردة غطاء ابيضُ سابغٌ مجموع في أعلاه على قدر حجم الرأس ، ثم يمتد نزولاً حتى يتصل بالارض او يكاد . وله في اعلاه دائرتان صغيرتان عند العينين تصنعان من نسيج

اقل كثافة من الغطاء نفسه . والمرأة في البردة لا يمكن ان تعرف أفتاة هي ام عجوز ، اهزيلة ام سمينة ، ابيضاء ام سوداء ؟ وكذلك يعسر المسير على المتحجبة بالبردة فتنتقل من مكان الى مكان راكبة في الاغلب .

على ان مجموع النساء اللواتي شاهدتهن في كراتشي كن يتحجبن بالحجاب الشرعي : كن يلبسن ثوباً سابغاً من أعلى العنق الى الكعبين يدعى « ساري » . ومنهن من تلبس الشلوار [1] والقميص ، وهو لباس سابغ رصين ولكنه مع ذلك رشيق انيق . وكلهن



ثياب شلوار

(١) الشلوار كلمة فارسية تعريبها سروال لفظا ومعنى .

يضعن على رؤوسهن غطاء سابغاً ايضاً . وهكذا لا يظهر من المرأة في ثوبها الوطني إلا الوجه والكفين ، ولا يبدو فيه من زينتهـا إلا ما لا بـد من ظهوره . وهـذه الزينة خفيفة على كل حال . وربما ظهرت المرأة الباكستانية في ثوب اجنبي سابغ ذي كمين يندر ان يكونا قصيرين .

والواقع ان المرأة الباكستانية في المدن قـد خرجت مـن الحجاب الارستوقراطي الاستبدادي الى الحجاب الشرعي . ولم يكن لها بد من ذلك بعـد ان انخرطت في الحياة الصحيحة في التمريض والطبابة والادارة والسياسة والتجارة والصناعة والطيران المدني وفي الجيش والاسطول . على انني اعتقـد موقنا انهـا لن تخرج الى السفور المفسد الذي نراه في اكثر البلاد العربية . ولقـد تناول كلامي الحجاب في المـدن لأن المرأة في جميع القرى والبوادي سافرة لم تألف هذا الحجاب الاصطناعي .

*

والحركة النسائيـة في الباكستان لم تخرج في اول امرها عن نطاق الحركات النسائية في سائر اقطار العالم في مبدأ امرها أيضا : نشاط اجتماعي محـدود وسعي في سبيل الاحسان وشيء من الخدمة الاجتماعية إلا في النادر . وقبل ان تستقل الباكستان عـام ١٩٤٧ كانت المرأة المسلمة اكثر اعتزالاً للحياة العامة حتى انها لم تكن تتعلم التمريض لاعتقاد المسلمين في الهنـد ان الفتاة المحافظة والتي هي عـلى

شيء من الغنى لا يجوز ان تعمل ممرضة . ذلك كان في دور الانكماش في ايام الاستعمار . ولكن ما أن اصبح للمسلمين دولة في الهند وبدت تكاليف الاستقلال أمـام العيون حتى وجـد المسلمون انفسهم مضطرين الى اطراح التزمت المبالغ فيه والى الاخذ بسنن الحياة مما لا يعارض الاسلام . بل ان الاسلام يحث على هذا النوع من الجهاد .

ولقد أشار محمد علي جناح الى هذا الانكماش السابق حينما قال : « أنا اعلم ان النساء المسلمات قد وقفن — في اثناء الكفاح الطويل في سبيل تحقيق الباكستان — صفاً مرصوصا وراء رجالهن . ولكن لا يجوز في الكفاح الاكبر المقبل لبناء الباكستان أن يقال ان نساء الباكستان قد تخلفن عن الرجال او انهن اهملن القيام بواجبهن » .

ومن الحركات النسائية القديمة في الهند حركة المرشدات . تأسست حركة المرشدات [١] في الهند عام ١٩١١ وكانت حركة مشتركة . فلما استقلت الباكستان لم يبق من المعقول ان تبقى الفتيات المسلمات في الباكستان مرتبطـات بالمراكز الهندوكية في الهندستان . من اجل ذلك استقلت حركة المرشدات المسلمات في التاسع والعشرين مـن كانون الاول عام ١٩٤٧ ، فاذا في الباكستان اليوم عشرة آلاف مرشدة أدّين لأمتهن في خلال تدفق سيول اللاجئين خدمات جلى في العناية الصحية وتخفيف الآلام وجمع الطعام واللباس .

---

(١) حركة المرشدات بين الفتيات تقابل حركة الكشافة بين الفتيان .

ولما استقلت الباكستان ثم امتلأت المستشفيات بالمرضى والمشوهين والاطفال الايتام لم يبق من المعقول ان تظل الفتاة المسلمة في معزل عن صناعة التمريض . فاسست الحكومة ستاً وعشرين مدرسة للتمريض يتخرج فيها نحو ٥٠٠ ممرضة كل عام . ولكن هذا عدد ضئيل جداً بالاضافة الى بلاد تعد ثمانين مليون ، لذلك تشجع الحكومة الفتيات الآن على امتهان التمريض بلا تثقيف علمي كامل ثم تعهد اليهن باعمال اقل خطراً في تمريض المرضى وحفظ الصحة .

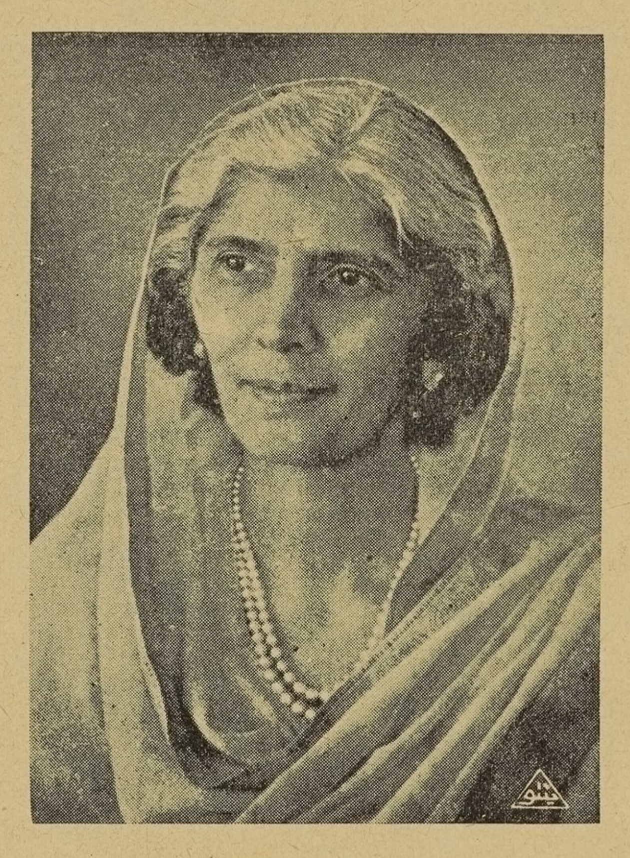
ويتبع التمريضَ التطبيبُ .

ان الحاجة الى الطبيبات في الباكستان ملحة جداً ولا سيما اذا علمنا ان القسم الاعظم من النساء يفضلن ان يتطببن على يد امرأة . من اجل ذلك انشأت الحكومة في لاهور كلية طبية خاصة بالفتيات لتجعل منهن طبيبات للنساء ولتفتح امام الفتاة شعاب الحياة كما فتحتها امام الفتى .

وكذلك استفادت الباكستان من جهود النساء – وفي الباكستان اربعون مليون امرأة – فهنالك نساء كثيرات في دور الصحافة والنشر وفي التلفون والسكك الحديدية وخطوط الطيران المدني وفي الاذاعة والشركات وفي الادارة كالبريد والكمرك وسواهما .

والمرأة الباكستانية صَناع اليدين تتقن صناعات خفيفة كثيرة . وقل بيتٌ ليس فيه صِناعة من خياطة وتطريز وزخرف او من غزل ونسج او نقر في الخشب او حفر في

النحاس او صنع اثاث للبيوت . ومع ان هـذه الصناعات ليست وقفا على النساء فان للمرأة فيها سهما وافراً .



الآنسة فاطمة جناح

على ان السيدة رازية (راضية) غلام علي تعد المرأة الاولى في عالم الصناعة في الباكستان . انها تشرف اليوم

على معمل من اكبر المعامل لصنع الانابيب من الاسمنت ، وهي تأمل ان يتسع عملها في المستقبل فوق اتساعه الحاضر وان تصنع الانابيب من الاسمنت والحديد على السواء ، وان تصنع ايضا أدوات متنوعة في هذا الباب .

ولقد مرّ معنا شيء من الكلام على المرأة في الجيش والاسطول .

☆

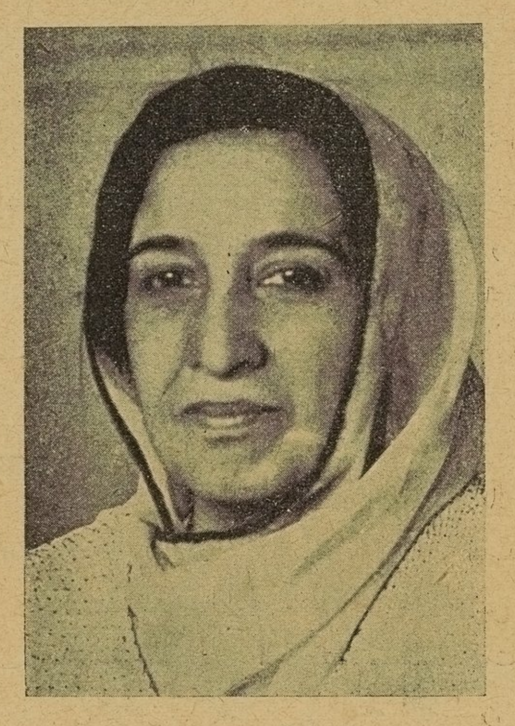
واذا نحن خرجنا من التعميم في الحركة النسائية الى التخصيص ، وجب ان نذكر اول ما نذكر الآنسة فاطمة جناح ، اخت القائد الاعظم محمد على جناح ورفيقته في جهاده قبل تأسيس الباكستان وبعد تأسيسها .

ولقد أدت فاطمة جناح رسالة الايمان والوحدة ، والطاعة بين النساء المسلمات وجمعتهن تحت لواء حزب الرابطة الاسلامية . ولم يكن تنفيذ ذلك سهلا قط .

وبتأسيس الباكستان زادت التبعة على فاطمة جناح اذ وجب عليها ان تقوم باعمال الاصلاح الاجتماعي وان تقف على رأس الحركة النسائية ، فأسست في كراتشي لجنة الاغاثة النسائية للاجئين وجمعيات اخرى كثيرة . ولما توفي اخوها اعتزلت هي الحياة العامة ولكنها ظلت تؤدي قسطها من الخدمة الاجتماعية في سبيل المرأة وظلت تعنى باللاجئين .

والمرأة الباكستانية دخلت الحياة السياسية بلا ضجة ،

وحسبنا في هـذا المقام كلمة عن السيدة جهان آرا شاهنواز ابنة السياسي الكبير ميان محمد شافع . هذه السيدة رأست المؤتمرات المحلية وعملت في الاصلاح كثيراً . وفي عام ١٩٣٠ رافقت



جهان آرا شاهنواز

أباها الى المؤتمر الامبراطوري في لندن فكانت امينة سره.

ولما تقرر في الدورة الثانية لمؤتمر الطاولة المستديرة عام ١٩٣٢ ان ينظر في وسائل لـلاصلاح في الامبراطورية الهندية كانت السيدة جهان آرا شاهنواز مندوبة في اللجنة

المكلفة بذلك. وفي العام نفسه مثلت الهند في عصبة الامم . وفي عام ١٩٣٣ حضرت مؤتمر الطاولة المستديرة وانتخبت عضواً للجنة المختلطة فيه . وفي عام ١٩٣٥ مثلت بلادها في مؤتمر العمل الدولي في جنيف بسويسرة .

أما في موطنها فانها تقلبت في مناصب كثيرة ، فقد انتخبت عضواً للمجلس التشريعي في مقاطعة البنجاب . وفي اثناء الحرب العالمية الثانية كانت عضواً في لجنة الدفاع الوطني . وفي عام ١٩٤٢ مثلت وطنها في مؤتمر بلاد الباسيفيك الذي انعقد في كندا . وقد قبض عليها وسجنت في حركة العصيان المدني التي اعلنتها الرابطة الاسلامية في البنجاب عام ١٩٤٧ . وهي الآن عضو في المجلس التأسيسي .

المشكلة الحقيقية

لما انعقدت الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي في مدينة كراتشي في شباط المنصرم انعقد بجانبها موتمر للسيدات . ومع انه كان للسيدات اجتماعات وحفلات خاصة بهن ، فان نفراً منهن كن يحضرن بعض الحفلات التي كانت تقام للرجال ، ولكن كن يحتللن جانبا معيناً من مكان الاجتماع او كن يجلسن في اماكن مستقلة . ولكن هذا لم يحل دون ان تقوم واحدة منهن احيانا فتقدم الشاي او الحلوى لعدد من الذين يجلسون على المقاعد القريبة . لقد كانت المرأة الباكستانية في مثل هذه الحفلات مثالاً

للادب الاسلامي الخالص .

وفي بعض الحفلات الاخيرة اقيم لنا عشاء سريع . فاتفق ان تقدمت انا والاستاذ ابو بكر احمد حليم رئيس جامعة السند من احدى الموائد . فلما وضع كل واحد منا شيئا من الطعام في طبقة التفت الي الاستاذ حليم وقال : اين تريد ان نجلس ؟ فقلت له : نجلس هنا ، واشرت الى مقعدين قريبين . فقال : ولكن هذين المقعدين من المقاعد المحجوزة للسيدات ؛ ولقد كان على كل مقعد منها بطاقة كتب عليها « محجوز للسيدات » . حينئذ انحنيت انا ورفعت بطاقتين عن مقعدين ثم قلت له : لم يبق هذان المقعدان الآن محجوزين للسيدات . وجلسنا هنالك نأكل . وكان قُبالتنا سيدتان احداهما من سيلان والثانية من بورما . فتناولنا الكلام على اعمال المؤتمر بالتطويل . فلما وصلنا الى اعقاب الحديث قلت لهما : ان المناقشات التي دارت في مؤتمر الرجال لم تختلف من المناقشات التي دارت في مؤتمر السيدات . وأرى اننا جميعاً نفكر في اتجاه واحد فلماذا نخسر من وقتنا بعقد اجتماع خاص بالسيدات وآخر خاصٍ بالرجال ؟ أليس من الافضل ان تكون الدورة القادمة من هذا المؤتمر مختلطة فنربحَ في الزمن ونربح في الآراء ؟ فاستحسنتا ذلك .

وبعد العشاء احببت ان استطلع رأي اخواني الرجال من اعضاء الوفود العربية خاصة . وكان من الذين حادثتهم

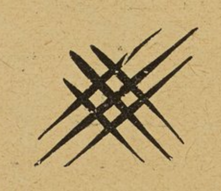
شيخ واحد ابتسم وسكت . ولكن نفراً من المشايخ ومن غير المشايخ ابدوا مقاومة لهذا الرأي شديدة ثم اخذوا يلقون علي محاضرات في الاخطار التي يمكن ان تنجم من ذلك . وطال الجدل واحببت ان اضع القضية على اساس شخصي واضح . فتوجهت بالكلام الى احدهم وسألته : أتذهب انت الي السينما عادة ؟ فقال : نعم . قلت أمتزوج انت ام عَزَب ؟ فقال بل متزوج . فقلت أتذهب وحـــدك الى السينما ام تصطحب زوجتك ؟ قال : بل نذهب معاً . حينئذ قلت له : اي المكانين آمن عاقبة : آلذهـــاب الى السينما ام حضور المؤتمرات ؟ فقـال : ولكن حينما اذهب انا الى السينما اغير زيي هذا ... فلم ادعه يتم كلامه بل قلت له : ارجوك ان تفكر في هذا الموضوع مليا ، فلعله ينفتح لك فيه باب للرأي جديد ! وبعد نصف ساعة رجع صاحبي إلي وقـــال : ان الاجتماع المختلط في جلسات مؤتمر اسلامي لا خَطَرَ منه عظيماً كما قد يتخيل بعض الناس ، ثم هو على كل حال آمن عاقبة من حضور السينما .

ان حقيقة المشكلة مبسوطة في ما يلي :

لقد دخلت المرأة الباكستانية معترك الحياة : في التمريض والطب والتجارة والصناعة وفي الجيش الاسطول وفي المجالس التأسيسية ودوائر الحكومة ، فلم يبق ثمت مبرر لامتناعها عن حضور المؤتمرات . اما المشكلة العربيه فمختلفة من ذلك : ان المرأة العربية قد بدأت الاختلاط من الجانب الآخر : بدأت

بالسينما وحمامات البحر وبالنزه وحفلات الشاي والكوكتيل .
من أجل ذلك لانرى نحن الا الجانب السيء من السفور . فلو ان المرأة العربية تفعل فعل اختها الباكستانية لما كان ثمت مشكلة اصلاً . وعندي ان الاستعمار الغربي قد قصدان يتلف جانبا مهما من حياتنا الخلقية فخلق لنا هذه البلبلة في قضية المرأة .

ان الوطن العربي لن يستطيع ان يحفظ اخلاقه ولا ان يهيء الجو الصالح للمرأة لتستفيد من مواهبها الا اذا اعد لها برنامجاً جديداً للتربية والتعليم . ان فتياننا وفتياتنا لم يتعلموا في الجيل المنصرم الا ما كان اقرب الى الاضرار بهم منه الى النفع لنا . فعلينا ان نبدأ سياسة تربوية من جديد ، وخصوصا في ما يتعلق بالمرأة .



- ٨ -

تراث الاستعمار

المستعمر لا يريد ان يعلم ابناء البلاد الخاضعة له ، واذا اضطر الى ان يعلمهم علمهم ما يضرهم اكثر مما ينفعهم . من اجل ذلك لا نستغرب اذا علمنا ان الانكليز لما غادروا الهند كان عدد الاميين فيها قد أصبح ثمانية وثمانين بالمائة من مجموع اربعمائة مليون نفس . اما الذين كانوا يستطيعون قراءة شيء في لغاتهم المحلية فكانوا نحو اثني عشر بالمائة ، واما الذين تعلموا شيئاً من الانكليزية فكانوا اثنين بالمائة فقط . وكان ربع المتعلمين فقط من الاناث .

فالجهل احد أوجه التراث الذي يخلفه المستعمر في كل بلد – هذا اذا اضطر الى ان يغادر ذلك البلد . على ان الامية كانت اكثر تفشيا بين المسلمين منها بين غير المسلمين على غرار ما نجد في جميع البلاد التي عرفت الاستعمار .

لما استولى الانكليز نهائيا على الهند اخذوا يقضون على عناصر العزة وعلى مظاهر القومية في الهنود ثم حاولوا أن يخضعوهم لمناحي حياتهم هم – تماماً كما يفعل كل مستعمر

في كل بلد ينزل فيه . من ذلك انهم قضوا ما استطاعوا على الحركة الثقافية وفرضوا على الموالين لهم من اهل البلاد تعليما انكليزيا استعماريا .

وابتعد المسلمون في الهند عن التعلم بعاملين : أولهما ان الانكليز اخذوا يَزْوونهم عن العلم حتي يغمرهم الجهل فيغفلوا عن ماضيهم ويفقدوا إدراكهم لقيمة الحياة الحرة — والمسلمون في الهند كانوا أشد سكانها مقاومة للانكليز .

واما ثاني ذينك العاملين في الابتعاد عن التعلم فكان كره المسلمين انفسهم للعلم الذي جاء به الانكليز لأنه علم غربي اجنبي . ولقد كان لهذه « السلبية » اسوأ الاثر في المسلمين ، فقد غرقوا في جهل بعيد القعر وخسروا الجزء الاوفر من نفوذهم السياسي . ولكن « سلبية » المسلمين لم يكن مقدراً لها ان تطول ، فقد ظهر على مسرح السياسة الهندية مصلح عظيم قُدِّر له ان يبدل مجرى تاريخ المسلمين من الهنود . ذلك هو السيد احمد خان (١٨١٧ — ١٨٩٩ م) الذي ادرك ان انكماش المسلمين عن العلم مضر بهم فحثهم على طلب العلم الغربي وعلى تعلم اللغة الانكليزية ، ثم اسس جامعة عليكره المشهورة لترجمة العلوم الغربية وتدريسها فبعث النهضة الثقافية في الهند كلها ؟

ومع هذا كله فان المسلمين ظلوا في مضمار العلم متخلفين نحو خمسين عاماً عن الهندوس . وكان تأخرهم في الحياة

السياسية على مقدار ذلك . ولن تعلم مدى الاذى الذي اراد الانكليز ان يوقعوه بالمسلمين في الهند في جميع ميادين الحياة إلا اذا علمت انه لمـــا غادرت انكلترة الهند عام ١٩٤٧ ، كان هنالك سبع وثمانون مدرسة فنية . فلما تم التقسيم كان ست منها فقط في المقاطعات الاسلامية وواحدة وثمانون في المقاطعات غير الاسلامية . حتى هذه المدارس الست التي كانت في المقاطعات الاسلامية كان اكثر أساتذتها من الهندوس !

وهكذا ألقي على عاتق الدولة الناشئة عبء جديد : انشاء مدارس لتعليم نحو تسعين بالمائة من مجموع الباكستانيين . ولا احب ان املأ الصفحات بالاحصاءات ولا ان اقول ان الحكومة قد ضاعفت عدد المدارس هنا وزادت في معدات المعاهد هنالك . ولكن احب ان أقص طرفا من سياسية الباكستان التوجيهية في التعليم .

كان اول ما فعلته الباكستان بعد استقلالها ان دعت الى مؤتمر تهذيبي انعقد في كراتشي في شهر تشرين الثاني (بعد قيام الدولة بثلاثة أشهر) . ولقد اتخذ هذا المؤتمر مقررات على غاية من الاهمية ، وبدأت الدولة بتنفيذها حالاً .

كانت مناهج التعليم الموروثة عن عهد الاستعمار مثقلة بالتوافه وموضوعة على اساس مادي بعيد عن سمو الحياة الروحية . فقررت الحكومة ان تبدل هذه المناهج لتجعلها مستوحاة من روح الاسلام واكثر موافقة لاحوال

الباكستانيين واتجاهم في الحياة. وحباً بتحقيق هذه الرغبة تقرر ان تكون اللغة الاردية لغـة الدولة ولغة التدريس الرسمية في غربي الباكستان ما عدا السند (حيث يتكلم الاهالي اللغة السندية). اما في البنغال (شرقي الباكستان حيث يتكلم المسلمون اللغـة البنغالية). فقد جعل تدريس اللغة الاردية اجبارياً في مرحلة التدريس الثانوي. وحبا بتفهم الاسلام تفهما صحيحا وتوصلا لشد اواصر الاخوة بين اقطار العالم الاسلامي تقرر المبالغة بالاهتمام بتدريس العربية في المدارس. اما في البنغال خاصة فان وزارة المعارف تقوم بتجربـة يرجى ان يكتب لها النجاح، وهي كتابة اللغة البنغالية بالاحرف العربية (لأنها الآن تكتب بالاحرف السنسكريتية، فهي لغة غير مسلمة). وتريد الدولة أن تجعـل الخط النسخي رسميا في التعليم مكان الخط الفارسي المعتمد الآن، لأن الخط النسخي اجمـــل واهون في التعليم ولأنه الخط الذي تكتب به المصاحف، انه خط القرآن الكريم.

وتسعى وزارة المعارف الى ان تجعل التعليم اجباريا، ولكن ذلك مستحيل الآن عمليـا، ذلك لأن نحو تسعين بالمائـــة من الباكستانيين اميون فـلا يمكن اجبارهم مرة واحـدة عـــلى طلب العلم. وهبها فعلت، فمن أين تأتي بمدرسين لسبعين مليون تلميذ او يزيدون. ولكن الحكومة لجأت الى تدبير حكيم اذ نصحت لموظفي الدوائر المتعلمين بان يعلموا الاميين في دوائرهم ما أمكن تعليمهم، بالاضافة

الى ما تقوم هي به من التعليم المباشر للاميين الكبار في اوقات فراغهم .

واذا كانت الامية فاشية الى هذا الحد بين الرجال فمن المنتظر ان تكون بين النساء اوسع انتشاراً . ويبدو ان مدارس البنات الآن لا تستطيع ان تستوعب اكثر من ثمانمائة الف فتاة . وتلك نسبة ضئيلة بلا ريب بالاضافة الى امة تعد ثمانين مليونا لأن ذلك يعني انه لا يذهب في الباكستان الى المدرسة إلا فتاة واحدة من كل مائة امرأة !

وفي الباكستان اليـوم خمس جامعات ، والحكومـة دائبة على ان تضيف اليها اربعاً أُخَرَ .



- ٩ -

حيدر آباد وكشمير

لم يكن بامكان انكلترة ان تحكم بلداً مساحته نحو خمسة ملايين كيلو متر مربع يسكنه اكثر من ثلاثمائة مليون نسمة يدينون بعدد لا يحصى من المذاهب ويتكلمون اكثر من سبعمائة لغة كالهند لو انها لجأت الى اساليب الادارة المألوفة في الحكم .

لقد كان اقامة ادارة موحدة في شبه جزيرة الهند امراً في حيّز المستحيل . من اجل ذلك لم يجد الانكليز وسيلة الى حكم الهند اجدى عليهم من تفريقها ممالك وسلطنات وامارات بعد ان يذكوا نار البغضاء بين الهندوس والمسلمين ، وهم الذين يمثلون الطائفتين الدينيتين الكبريين في شبه الجزيرة كلها . ومما ساعدهم على ذلك ان كل طائفة من هاتين كانت تنقسم ايضا طوائف متعددة بتعدد انسابها ولغاتها وتراثها الاجتماعي .

وقسم الانكليز الهند من حيث الادارة قسمين كبيرين : قسما حكموه حكما انكليزيا مباشراً وقسما فرقوه بين الاسر

الاقطاعية ، بعد ان جعلوا له في الظاهر استقلالاً ذاتيا يبدو براقا لماعاً ضاجّاً بين الحكام والمحكومين . اما في الحقيقة فانهم اقاموا في تلك المقاطعات حكما استعماريا مستتراً يتقيد به الحكام تجاه الانكليز . ولم يكن الحكم الوطني الظاهر في تلك المقاطعات إلا ستاراً للابقاء على الجهل والفقر موزعين في اقطار الهند مما يستحيل معه رقي أوازدهار او تطور ما . ولكن كيف ضمن الانكليز ان تبقى العداوة والجهالة والامراض متربعة في تلك المقاطعات ؟ نظر الانكليز في تلك المقاطعات ، فما كان منها فيه اكثرية هندوسية نصبوا عليه حاكما مسلماً ، وما كانت الاكثرية فيه مسلمة اخضعوه لحاكم هندوسي . وهكذا ظلت العداوة بين الاقلية والاكثرية وبين المحكوم والحاكم تعمي ابصار الجميع عن كل رغبة في رقي وعن كل حاجة الى التطور .

ولما قسمت شبه جزيرة الهند عموماً هندستان وباكستان ترك الخيار لهذه المقاطعات الوطنية في ان تنضم الى الجانب الذي تميل اليه أو ان تظل مستقلة كما كانت قبل تقسيم شبه الجزيرة .

نظام حيدر آباد

حيدر آباد مقاطعة في هضبة الدكن في اواسط النصف الجنوبي من شبه جزيرة الهند . هي اكبر امارات الهند واغناها ، تبلغ مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو سبعة عشر مليونا من الانفس منهم نحو مليونين من المسلمين هم أقلية ، ولكنهم اقلية قوية في عالم الثروة والاملاك والصناعات .

واذا نحن أعتبرنا احوال حيدر آباد من ناحية السياسية والادارة والعمران لم نجدها امارة وطنية في الهند كسائر الامارات ، بل وجدنا انها دولة ذات كيان سياسي مستقل ، وذات مرافق خاصة بها للبريد ولسكك الحديد ولطرق الطيران المدني ولنظام التلفون والعملة . ولقد كان بين حيدر آباد وبين الهند والباكستان تمثيل سياسي .

ويحكم حيدر آباد الامير عثمان علي خان بهادور المعروف باسم نظام حيدر آباد ، وهو السابع في سلسلة اسلافه الذين حكموا هذه المقاطعة . وهو يحكم بلاده حكما مطلقا إقطاعيا ولكنه ايضا حكم المستبد العادل الذي يريد الخير لرعيته . ثم أن له مقاماً مرموقاً بين المسلمين في جميع الاقطار . ونظام حيدر آباد اغنى اغنياء العالم يملك ثروة من الجواهر تبلغ نحو ثمانية مليارات من الروبيات او نحو مليار من الجنيهات الانكليزية .

ولما قامت دولتا الهندستان والباكستان اختار نظام حيدر آباد ان تظل بلاده مستقلة كما كانت منذ مئات السنين . ولكن الهندستان ساءها ذلك واصرت على ضم الامارة اليها متوسلة بحجتين : اولاهما ان كثرة المقاطعات المستقلة ، ضمن حدود دولة ما يعرقل عمل هذه الدولة جغرافياً وعسكرياً وسياسياً . وثاني الحجتين ان المسلمين في امارة حيدرآباد يبلغون اثنى عشر بالمائة من مجموع السكان فقط . ثم اخذت الهندستان تعلن ان امارة حيدر آباد امارة اقطاعية ولا يجوز بعد اليوم ان يستمر حكم اقطاعي في بقعة من بقاع العالم . وكذلك ادعت ان الامن مضطرب وان الراز كار [1] يكثر الاعتداءات على السكان ، وأنه في الوقت نفسه عنصر مهدد لما حوله .

اكفهر الجو بين الهندستان وحيدر آباد ، فعقدت الدولتان بينهما في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ اتفاقا موقتا امده عام واحد ، لعل الطرفين يصلان في مدة نفاذه الى اتفاق يتعلق بالدفاع وبالسياسة الخارجية على الاقل . ولكن الهندستان اخذت تمنع وصول الاسلحة الى حيدر آباد ووصول الآلات الميكانيكية . حتى الادوات الطبية والعقاقير منعت الهندستان وصولها الى حيدر آباد .

ومنذ نيسان عام ١٩٤٨ بدأت الهندستان تلوح باقتحام

---

(١) الراز كار او الرضا كار على الاصح هم المتطوعون الذين يؤلفون جيش امارة حيدر آباد (برضاهم) .

الامارة عنوة وتصرح [1] « ان ثمت حـلاً واحداً لمشكلة حيدر آباد ، هو الانضمام الى الهند » . وفي الحادي عشر من شهر ايلوم عام ١٩٤٨ توفي محمد علي جناح الحاكم العام لدولة الباكستان فعم الباكستان ذهول شديـد وخيف الاختلاف على خلف له . فانتهزت الهندستان هـذه الازمة الروحية واقتحمت حدود حيدر آباد في الثالث عشر من ايلول . وكان ذلك قبل انتهاء امد الاتفاق الموقت بشهرين ونصف شهر . وقاومت حيـدر آباد خمسة ايام ثم استسلم جيشها .

وبعد ان استسلمت حيـدرآباد أُسلمت للمذابح والنهب ، ثم حملت حكومة الهندستان خمس قاطرات معبأة بالذهب والفضة سوى ما حمله الجنود وسوى مـا افتعله اهالي المقاطعة من الهندوس . ولا ريب في ان الهدف الاول من اقتحام حيدر آباد كان الاستيلاء على ما فيها من الثروات والذخائر والنفائس ، قبل ان يكون ضم سبعة عشر مليونا من النـاس الى الهندستان .

*

يجب ان يكون في خسارة حيدر آباد – وفي خسارة فلسطين من قبل – عظة لكثيرين من المالكين المسلمين . فلولا الامتناع عن البذل الصحيح في موضح البذل الصحيح لما كان المسلمون يخسرون اليوم ارضهم وديارهم ، ولا كان

(1) Indian Information, Independence Number 1948, P. 13

ينال منهم عدوٌ لهم منالاً . ورحم الله عبد الله بن المقفع اذ يقول : لا تقاس الثروة بالمال المجموع بل بطريقة الانفاق . ورب مال ادخره الانسان في جيوبه وصناديقه فكان عبئاً على عاتقه وسلاسل في عنقه . ولو انه اصاب به موضع الانفاق لكان له سياجاً وقوة . ومع اعترافنا بما انفقه نظام حيدرآباد في سبيل العلم والثقافة والجهاد في بلاده وفي سائر بلاد المسلمين ، فان القناطير المقنطرة من الذهب والفضة التي غصت بها أقبيته والاكداس المكدسة من اللؤلؤ والجوهر التي ناءت بها صناديقه لم تغن عنه شيئاً بل كانت لقمة شهية تحلبت لها افواه اعدائه .

آزاد كشمير

كشمير (او كشمير وجمو على الاصح) مقاطعة جبلية في شمالي الباكستان الغربية تتفرع سلاسل الجبال فيها من جبال همالايا . وقد ترتفع قنن الجبال فيها الى ٢٥٫٠٠٠ قدم (نحو سبع كيلومترات ونصف) فوق سطح البحر . وتنحدر من كشمير المياه التي تغذي أنهار مقاطعتي البنجاب والسند ، كما تكثر فيها نفسها المعادن والاحراج والمراعي واشجار الفاكهة . واشهر صناعاتها السجاد ونسيج فاخر من الحرير يعرف باسم « الشال » .

ولكشمير أهمية عسكرية ، فهي تتاخم بضع دول هي (ابتداء من الشرق) : الافغان والاتحاد السوفياتي

والتركستان الصينية والتبت والهندستان والباكستان .

وكشمير مقاطعة كبيرة تبلغ مساحتها نحو ٨٤،٥٠٠٠ ميل مربع (نحو ٣٦٠،٠٠٠ كيلومتر مربع) وسكانها اربعة ملايين او يزيدون ، منهم نحو ثمانين بالمائة مسلمين ، وكلهم شجعان محاربون .

*

لم تشذ كشمير عن قاعدة الافساد البريطاني في حكم البلاد المغلوبة ، فان الانكليز كانوا قد نصبوا عليها حاكماً هندوسياً ، ذلك لأن الاكثرية فيها مسلمة .

وتبدأ قضية كشمير في اليوم الخامس عشر من شهر آب ١٩٤٧ ، فقد فرح مسلمو كشمير باستقلال الباكستان واقاموا معالم الافراح في طول البلاد وعرضها يتباشرون بزوال عهدٍ من الاضطهاد والظلم عاشوا فيه هم وآباؤهم مائة عام . لقد رَجَوْا ان يكون قيام دولة مسلمة كبرى ، سينضمون اليها حين يحين موعد الاستفتاء ، إيذانا بانتهاء عهد كفاح مرير وببزوغ فجر جديد للحرية والطمأنينة والرقي والعزة . فلم لا يبتهجون ؟

ولكن مهراجا كشمير اكتفى - في الخامس عشر من آب نفسه - بعقد اتفاق موقت مع الباكستان (على مثال اتفاق نظام حيدر آباد مع الهندستان فيما بعد) . غير ان المهراجا ركب سياسة مبهمة وجعل يستقدم من شرقي البنجاب (التابعة للهندستان) جماعات من الهندوس والسيخ الى

مقاطعة جمو خاصة لتتضخم الاقلية الهندوسية هنالك ، وليرهب بعمله هذا المسلمين . ثم انـــه اطلق قواته المسلحة على السكان المسلمين وبدأ عهداً مستأنفاً من الارهاب والاضطهاد .

أما كيف بدأ الاضطراب الذي زج البلاد فيما بعد في أتون الحرب فيمكن ان يقص على الصورة التالية ، وقـد ذكر ذلك المهراجا نفسه في بيان صحفي اذاعـه في اليوم الثاني عشر من ايلول عام ١٩٤٧ . قال :

« في اليوم الرابع والعشرين من آب عام ١٩٤٧ تجمعت جماهير غفيرة ثم اتجهت نحو مدينة باغ ، وكان عددها نحو خمسة آلاف . ولم يكن بالامكان اقناع هذه الجموع بالتفرق بل كان عـددهم يزداد باطراد ، وكانوا كلهم مسلحين باسلحة متنوعة وبالفؤوس والرماح وغيرها » .

ورأى المهراجا ان يفرق هذه الجموع بالقوة ، فلجأ الى طريقة هي التي خلقت قضية كشمير . هـــذه الطريقة قد ذكرتها جريدة التايمز اللندنية في عددهـا الصادر في العاشر من تشرين الاول عام ١٩٤٨ . قالت جريدة التايمز :

« وفي سائر مقاطعة دوغرا ابيد ٢٣٧،٠٠٠ من المسلمين ابادة منظمة ، إلا من نجـا منهم بنفسه هاربا عبر الحدود الى الباكستان . وقد تولى هذه الابادة قوات نظامية تابعة لمقاطعة دوغرا يقودها مهراجا كشمير نفسه ويساعده عـلى الفتك برعاياه المسلمين جماعات من الهندوس والسيخ . ولا ريب في ان إفنـاء ثلثي المسلمين في مقاطعة جمو (جنوبي

شرقي كشمير) قد بدل نسبة السكان المسلمين والهندوس فيها » .

ولم يكن من المعقول ان يرى رجال القبائل في كشمير اخوانهم الذين يسكنون المدن يُقتلون ويشردون من غير ان يهبوا الى نجدتهم . فجمعوا صفوفهم واخذوا في اواخر آب عام ١٩٤٧ يحاربون جنود المهراجا النظاميين حتى تغلبوا عليهم واجلوهم عن معظم نواحي كشمير واقاموا هم في ارضهم ووطنهم حكومة وطنية سموها آزاد كشمير أو حكومة « كشمير الحرة » .

وفي الرابع والعشرين من تشرين الاول ، اي بعد شهرين اثنين ، ادرك مهراجا كشمير انه مخذول في ملكه ، وان رعيته لا تريده أبداً ، وان جيشه عجز عن الدفاع عنه فاستنجد بالهندستان . ويبدو بجلاء ان حكومة الهندستان لم تكن بعيدة عن الاضطراب الذي شمل كشمير ولم تكن كذلك غافلة عما يمكن ان تدعو اليه الاحوال الحرجة . وهكذا ما كاد المهراجا يستنجد بالهندستان ويعلن انه يريد ان يضم كشمير اليها حتى كانت جيوشها قد وصلت الى حدود تلك المقاطعة . وبعد ثلاثة ايام فقط من طلب النجدة كانت الجيوش الهندستانية بدباباتها وطياراتها تقتل المدنيين وتهدم دورهم . وقد بلغ بالجيش الهندستاني حب التدمير الى انه قذف ذات يوم لاجئين من السيخ والهندوس يغادرون مظفر آباد (في غربي كشمير الحرة) تحت اشراف لجنة دولية للصليب الاحمر .

ولقد كانت قوات كشمير الحرة تقاتل بالسلاح الخفيف جيشا مجهزاً بالدبابات والطيارات وباحدث معدات القتال واثقلها ، ومع ذلك انتصرت عليه . ولو لم يدبر المهراجا المذابح في مقاطعة جمو ويعمل على استقدام المهاجرين الهندوس اليها لما استطاع الجيش الهندستاني ان يحتل جزءاً من تلك المقاطعة .

عند هذا الحد بدأت كشمير تهدد السلم العالمي او هكذا ادعت هيأة الامم ثم تدخلت لتحل القضية حلاً « عادلاً » . فوقف القتال عند احتفاظ القوات الهندية بجزء من مقاطعة جمو وسيطرة حكومة آزاد كشمير على سائر المقاطعة . وهكذا يُصنع التاريخ : سبع دول يحاربون دولة مزعومة فيولون الادبار ثم لا ينصرون ، و « رجال قبائل » يحاربون ببنادقهم جيشين عظيمين ظاهرين مجهزين احسن تجهيز وجيوشا غير منظورة ثم يغلبونها كلها .

٭

لا اريد ان اشغلك ، ايها القاريء ، بتاريخ قضية كشمير بعد ان احيلت الى هيأة الامم وبعد ان أُلّفت من اجل حلها لجان التحقيق .. . فانت تعرف ذلك واشباهه في سورية والعراق ومصر وفي فلسطين ومراكش . هنالك مذكرات توضع فلا يقرأها الا كاتبها ثم لا يدري الا الله اين يكون مستقرها في ادراج هيأة الامم المتحدة مثلا . ولكنني اريد ان ارسم امامك خطين واضحين من خطوط قضية كشمير .

١ - لقد قضت الهندستان على استقلال حيدر آباد

مدعية ان تلك الامارة تحكم حكما اقطاعيا وان اميرها ينتمي الى اقلية تُحكم اكثرية . وها هي ذه في كشمير تعضد اميراً اقطاعيا ينتمي الى اقلية تحكم اكثرية !

٢ - في حيدر آباد كانت الهندستان تقول : يجب ان نصغي الى الشعب لانه صاحب الحق الاصيل في تقرير مصيره (واكثرية الشعب في حيدر آباد من الهندوس) ، بينما هي ترفض في كشمير ان يُسمع صوت الشعب (المسلم) وتصر على ان يُعمل برأي الحاكم (الهندوسي) .

اما حقيقة المشكلة فهي التي تلي :

في الهند شعبان قويان محاربان : قبائل كشمير والباتان (سكان الحدود الشمالية الغربية) ثم السيخ . فالسيخ يقفون بجانب الهندوس طبعاً ، فاذا ضمت الهندستان كشمير اليها جردت الباكستان من قسم عظيم من مقدرتها الحربية وضمنت التغلب عليها في كل وقت تنشب فيه حرب بين الدولتين . ثم ان الهندستان اذا كان لها نفوذ في كشمير على الاقل فانها تستطيع حينئذ ان تهدد الباكستان تهديداً دائما فعالا : إذ تكون لها الجبال ومشارف الجبال ، ويكون الباكستانيون في سهول البنجاب والسند .

ان متصفح التاريخ بانعام نظر يرى انه قد سيطر على سلوك اليهود في فلسطين وسلوك الهندستان في الهند اتجاه واحد وغاية واحدة .

وهنالك مؤامرة تتفرع من قضية كشمير تذكر احيانا باسم بختونستان .

تقع جنوبَ كشمير وعلى حدود الافغان مباشرة مقاطعة تعرف باسم مناطق الحدود الشمالية الغربية ، حيث تسكن قبائل تعد ستة ملايين من الانفس كلهم شجعان برعاء في الحرب اقوياء الايمان . ولغة هـذه القبائل هي البشتو التي يتكلمها سكان الافغان ما عـدا العاصمة كابل اذ يتكلم اهلها الفارسية . من هنا جاءت كلمة بختونستان لتدل على خلق دولة (مستقلة عن الباكستان) تضم هذه القبائل . وقد تروّج الدعاية لهـذه الفكرة باسم باتانستان (نسبة الى اسم تلك القبائل) . اما المتحمس الاول لهذه الفكرة فهو الهندستان [1] ، التي استطاعت أن توجد بـين الباكستان وبين الافغان شيئا من النفور يظهر غالباً في اذاعات الراديو واحيانا في الصحف .

واعلم ان المساعي مبذولة لأصلاح ذات البين وان أناملَ رفيقة تحاول مسح الجفاء بين شعبين مسلمين ودولتين جارتين ينفعهما ان تتحابا ويضرهمـا ان تتقاطعا ، ولا سيما اذا كان في نزاعهما منفعة عدو لهما كليهما . ولا أريد أنا ان أتبسط في تحليل هذا النزاع لئلا يخرج الكلام عما قصد به .

(١) راجع صوت الهند (مجلة نصف شهرية يصدرهـا مكتب استعلامات الهند في القاهرة) السنة الثالثة ، العدد ٣٩ (١٥ يناير ١٩٥١) ثم العدد ٤٢ (اول مارس ١٩٥١) .

- ١٠ -

الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي

لما بدأ العالم الشرقي يستفيق من سباته الماضي كان الكلام على « القومية » يملأ الجو حوله ، فاندفع هو ايضاً نحو القومية مغتراً بمظهرين من مظاهر التاريخ في القرن التاسع عشر . اما المظهر الاول فكان نشوء الدويلات في البلقان ؛ وأما المظهر الثاني فكان توحيد ايطالية وألمانية . على ان دعاة القومية في الشرق قد أخطأوا حقيقة هذين المظهرين معاً .

أما قيام الدويلات في البلقان كاليونان وبلغارية والصرب والجبل الاسود وكانفصال البوشناق والهرسك فلم يكن فيه من عناصر القومية سوى الاسم الظاهر . ان البلقان هو البقعة الوحيدة في العالم حيث يستحيل على المؤرخ وعلى السياسي ايضاً ان يرسم « حدوداً قومية » . حتى الدويلات التي قامت في البلقان فعلاً لم تضم جميع الذين يعتقدون انهم ينتمون الى قوميتها ، ولا هي خلصت من عناصر قومية اخرى كانت تعيش فيها من قبل . فليس جميع البلغاريين في بلغارية ، وليس جميع الذين في

بلغارية بلغاريين . اما الهدف الحقيقي من السماح بقيـــام الدويلات البلقانية في القرن التاسع عشر فكان رغبة الدول الكبرى في تجزئة الامبراطورية العثمانية ، لذلك لجأت تلك الدول الى بعث حركات تصطبغ بصبغة القومية . فلمـــا تجزأت الامبراطورية العثمانية وقضت الدول الكبرى وطرها عادت البوشناق والهرسك والصرب والجبل الاسود دولة واحدة هي يوغوسلافية . اما بعد الحرب العالمية الثانية فاننا كلنا نعلم الفلك الذي كانت يوغوسلافية نفسها وتشيكوسلوفاكية وبلغارية الصقلبية ايضاً تدور فيه .

وكذلك قيام ايطالية وألمانيـة فانه لم يكن توزعـــاً اقليمياً ، بل كان بخلاف ذلك تجمعاً قومياً عاماً . فايطالية جمعت ابن حوض البو الجرماني مع ابن صقلية وسردانيـة واواسط الايطالية . وما زالت سواحل الادرياتيك الشرقية الشمالية موضع نزاع بين يوغوسلافية الصقلبية وبين ايطالية اللاتينية .

*

ولكن زعماءنا السياسيين — تولاهم الله بمغفرته حيث هم الآن من عالمهم الآخر — أخطأوا الصورة الواضحة ، فبدلاً من ان يروا لومباردية وساردانية وتسكانية ونابولي وصقلية تتجمع دولة واحدة هي ايطالية تخيلوا الوطن العربي مقسماً : فهنا مصر وهناك سورية وهنالك العراق ؛ ثم كان هنالك دولة جبل الدروز ودولة العلويـــين ودولة حلب وسنجق

الاسكندرونة ، وما ادراك ما سنجق اسكندرونة !

*

ومر زمن لم يكن من اليسير على احد ان يقاوم هذه الحركة من التجزيء الاقليمي الذي كان يدعى القومية ، ذلك لان كثيرين من الدعاة القوميين كانوا يذهبون في « تطبيب الشرق » مذاهب مختلفة . وبعضهم كان يقيس « رقعة الوطن » على مقدار حاجاته الشخصية او على النموذج الذي كان يدفعه اليه اولئك الذين ضمنوا له استيفاء هذه الحاجات . حتى الذين ماتوا معاً في سبيل الحركات القومية لم يكونوا كلهم مجمعين على رأي واحد في تحديد معنى القومية ولا في تعيين سبلها او تبيين غاياتها .

ولقد كان هنالك مجرى آخر للاصلاح — ولكن في غير البلاد العربية — يرى الجارون فيه ان العامل الحقيقي في خلق عظمة الدول الاسلامية هو الاسلام . ومع ان هؤلاء لم يقصدوا ان يجمعوا الهند وايران والعراق ومصر وتركية تحت ادارة واحدة ولا تحت حكم واحد ، إلا انهم ارادوا ان تنهج هذه البلاد المستقلة سياسياً منهجا موحداً كما تفعل الولايات المتحدة وانكلترة وفرنسة اليوم ، على بعد ما بينها في كل شيء . ولا نكرَ ابداً في ان الدول الكبرى كانت تغذي المجرى القومي بروافد من الدعاية البارعة وبضمان مصالح شخصية كثيرة . اما المجرى الاسلامي فكانت تسهر عليه جماعات بعيدة عن ارائك السلطان .

وتتالت منذ مطلع القرن العشرين حوادث كانت تسلب دعاة القوميات الاقليمية حججهم او تجرد تلك الحجج من مقوماتها المادية . فأي قيمة قومية لبقاء مراكش منفصلة عن تونس والجزائر ؟ وما المعنى القومي في قيام مملكة ليبية ؟ واي مغزىً قومي في فصل السودان عن مصر ؟ ثم جاءت الطامة الكبرى فاجتاحت « الحجج القومية » مرة واحدة : ان سبع دول وسبع قوميات وسبع وزارات وسبعة جيوش وسبعون مليونا لم يستطيعوا ان يقفوا سبعة اسابيع في قتال جماعـــات كانت مخذولة منبوذة ومفرقة مشردة ، ذلك لأننا قاتلناهم بسلاح القومية المفرقة وقاتلونا بسلاح ألبـّوا به علينا العالم السياسي من اقصاه الى اقصاه . ولكنّ ذلك حديث آخر .

☆

وكثرت الجمعيات والمؤتمرات للخروج بالشرق من هـذا الركود الروحي والتقهقر السياسي ، فلم يُغنِ ذلك فتيلا . فقد كانت الاجتماعات تعقد والمقررات تؤخذ ثم لا ينفذ شيء . واخيراً تبين ان هذه المؤتمرات والجمعيات كانت خاضعة من قرب او من بُعد لنفوذ الحاكمين ، وكان هؤلاء الحاكمون انفسهم مقيدين بلياقات داخلية وخارجية وبملابسات شخصية ووطنية لا يمكنهم تجاهلها . وهنا بدت بارقة اتجاه جديد : لماذا لا تكون حركة الاصلاح هـذه شعبية محضاً ؟ وهكذا نشأت الفكرة التي حققت مؤتمر العـالم الاسلامي الدائم .

على ان هذه الفكرة لم تخطر لرجل واحد فقط، بل مرت في خيال كثيرين كلهم كانوا من مسلمي الهنـــد . ولعل منفذها لم يكن الرجل الذي فكر فيها لأول مرة ووضع منهاجا الاول .

*

وكانت غاية هذا المؤتمر ان ينظر المسلمون « في احوالهم وفي ما يحيط بهم ثم يتعاونوا على خطة اسلامية تهديهم الى سواء السبيل وتنجيهم من الاضطراب الذي يعم العالم ومن الشر الذي يهدد ذلك العالم » .

ولقد عقدت الدورة الاولى لمؤتمر العـــالم الاسلامي في كراتشي عاصمة الباكستان في ١٨ و ١٩ و ٢٠ شبـاط عام ١٩٤٩ فحضرها مندوبون من ثمانية عشر بلداً اسلامياً يمثلون شعوبهم لا حكوماتهم . في هذه الدورة وضع دستور للمؤتمر يدور على التعاون الثقافي بين الشعوب الاسلامية من غير ان يتعرض للشؤون السياسية الداخليـة الخاصة بكل دولة . اما أبرز غايات هذا المؤتمر المثبتة في دستوره فهي :

« محو جميع الفوارق المذهبية والقبلية والوطنيـــة من بين جميـع شعوب العالم الاسلامي .... وإحكام الرابطة الاسلامية بين الجميع باتخـــاذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين للهداية والتوجيه .... والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء الشعوب الاسلامية .... وادخال عناصر التعليم الاسلامي في جميع مناهج الدراسة » . ولكن المواد

التالية تلفت النظر بصورة خاصة :

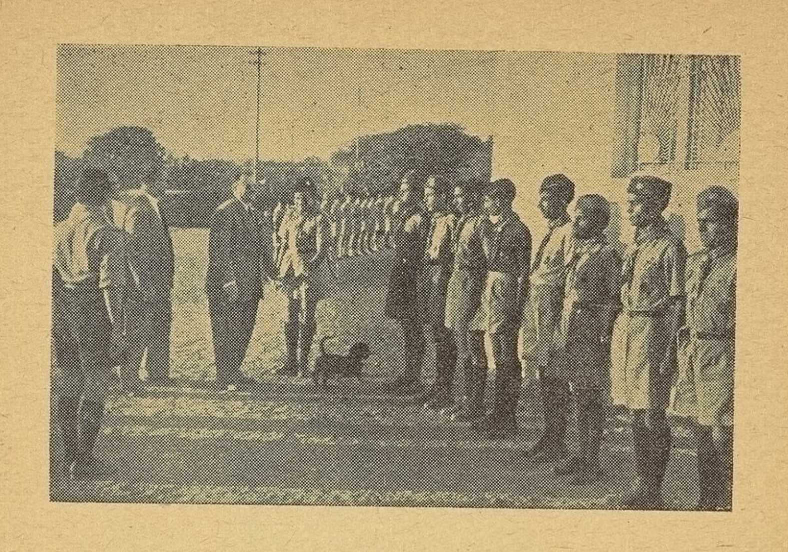
(١٠) اتخاذ خط النسخ (خط الطبع العربي) والعمل على نشره اساساً لتوحيد الكتابة بين مسلمي العالم بلغاتهم المختلفة (لان الشعوب الاسلامية غير العربية تكتب لغاتها عادة بالخط الفارسي) .

(١١) العمل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الاسلامية عامة في جميع انحاء العالم .

(١٦) العمل على تأسيس شركات ووكالات لنشر الانباء الصحيحة عن (الدول) الاسلامية وعن شعوبها ....

٭

بعدئذ طاف امناء سر المؤتمر في العالم الاسلامي لتوسيع الدعوة الى المؤتمر ولانشاء لجان محلية في كل بلد اسلامي . وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً . وكان قد تقرر ان تعقد الدورة الثانية في مدينة كراتشي ايضاً ــ لتعـــذر انعقادها في قطر ما من الاقطار العربيـــة على الرغم من محاولة ذلك ــ في ايام الجمعة والسبت والاحد في ٣ ــ ٤ ــ ٥ من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٧٠ (٩ ــ ١٠ ــ ١١ شباط عام ١٩٥١ م) . وكذلك تقرر ان ينظم اجتماعان فرعيان تابعان للمؤتمر العام احدهما للنساء والآخر للشباب ، وان يقام معرض للجهود الثقافية والفنية والمادية في العالم الاسلامي . وقد عقدت جميع المؤتمرات في اوقاتهـا المعينة ، واقيم المعرض ولكن على نطاق ضيق .



رئيسا كشاف يزورانه المقر العام الكشفي في كراتشي

مصطفى فتح الله	هارون نهابو
لبنان	جزائر موريس

كان النظام في الاجتماعات العامة تحت اشراف كشافة الباكستان .
وللحركة الكشفية في هذه الدولة الفتية المقام الاول بين جمعيات الشباب بالنظر لمبادئها السامية ولصلاح تعاليمها القويمة في إعداد الناشئة عمليا لخدمة وطنهم وامتهم .
وان عدد الفتيان والشباب ، سوى المرشدات ، من الذين ينضوون تحت لواء الكشفية في باكستان ينيف على مائة الف ما بين كشاف بحري وكشاف الجو وحرموز وكشاف وجوال .
وقد أقر المؤتمر اقتراحا قدم في اجتماع الشباب لعقد اجتماع عام للكشافة المسلمين من جميع أقطار العالم .

كانت الدورة الثانية للمؤتمر أوسع نجاحاً ونشاطاً ، فقد حضرها مندوبون من اربعة وثلاثين قطراً اسلامياً بلغ عددهم نحو مائتين وخمسين شخصاً كلهم ، الا نفراً معدودين ، من غير ذوي المناصب الحكومية .

وكان للمؤتمر اربعة انواع من الاجتماعات :

أ - الاجتماعات العامة الشعبية

ب - الاجتماعات العامة للمؤتمرين

ج - اجتماعات اللجان الفرعية

د - الحفلات الاجتماعية .

اما الاجتماعات العامة فكانت تعقد في سرادق منصوب يتسع لنحو عشرة آلاف او يزيدون . في هذه الاجتماعات ، التي كانت تعقد مساءً وتستمر ايضا الى ما بعد منتصف الليل ، كان الخطباء يتعاقبون على المنبر فيتناولون الموضوعات الاجتماعية والوطنية والثقافية من تلك التي تدور حول الروابط الوثيقة بين اقطار العالم الاسلامي وتتصل بانعقاد المؤتمر . وقد بدت قضيتا كشمير وفلسطين في ابرز المقطوعات الخطابية .

وعلى الرغم من ان الحضور للشعب كان مقابل بدل قدره عشر روبيات او خمس روبيات او ثلاث روبيات [1] فان الاماكن كانت في جميع الليالي تمتلىء بالمشاهدين ، عشر ليال متوالية . ولقد كنت اسائل نفسي هذا السؤال : لو

(١) تساوي الروبية الباكستانية نحو سبعين قرشاً لبنانيا .

ان اجتماعا مماثلا عقد في بيروت ، وكان بدل المقعد الواحد عشر ليرات وخمس ليرات وثلاث ليرات ، فكم مقعداً كان يمتلىء في كل ليلة من ليالي المؤتمر ؟

اما الاجتماعات المتعلقة بالمؤتمرين ، سواء أكانت عامة لجميع المندوبين ام خاصة باللجان الفرعيـــة ، فهي المقصودة بالبحث هنا .

الف المؤتمر اولاً لجنة سماها لجنة المقترحات مهمتها تأليف لجان فرعية من الاعضاء المؤتمرين . ولقـــد تألف يومذاك من اللجان :

(١) لجنة الدستور (للنظر في تعديل الدستور اذا كان ثمت ضرورة لذلك) .

(٢) لجنة الدعوة (مهمتها جمع جهود المتطوعين للدعوة الى الاسلام في العالم) .

(٣) لجنة التربية والتعليم .

(٤) اللجنة الاقتصادية .

(٥) اللجنة السياسية .

*

ان ابرز البحوث في الدورة الثانيه للمؤتمر والمقررات التي تلتها ملخصة فيما يلي .

١ - يجب ان يوجه التعليم في الاقطار الاسلامية توجيها اسلاميا ، حتى يحال بين ناشئتنا وبين طغيان الجانب المادي من الحياة ، ذلك الجانب الذي تقتضيه طبيعة العلوم التي

اصبحت دراستها جزءاً لا غنى عنه في هـــذا العالم المملوء بالنزاع والكفاح . اما في البلاد الاسلامية المستقلة فيجب ان يكون التعليم الديني إلزاميا كافيا ، مع تسهيل الطرق للباحثين على التعمق في مظاهر الثقافة الاسلامية في كل بلد ، ثم انشاء مجمع علمي اسلامي دولي يضم اعلام العالم الاسلامي في جميع مجالي الثقافة . ويوصي المؤتمر هذه الدول ان تفتح دور العلم فيهـا امام ابناء الاقطار الاسلامية التي لا تزال ترزح تحت استعمار اجنبي ، لتساعدهم على الاحتفاظ بصلاتهم الثقافية والاجتماعية وثيقة باخوانهم في الاقطار الاخرى .

٢ - جعـــل التشريع في اساسه قائماً على المبادىء الاسلامية .

٣ - تنظيم الزكاة وتخفيف تكاليف الحيـاة عن عاتق العمال والزراع بتوفـير المطعم والملبس والمسكن والتعليم والعلاج لهم ، ثم تأسيس شركات للاستثمار وللانشاء العمراني . ويجب ايضا تنظيم العلاقات الاقتصادية في التجارة الخارجية بالاضافة الى الدول الصديقة والعدوة . ثم إن كثرة اللاجئين من اقطار مختلفة في العالم الاسلامي تقتضي ايجاد لجنة مركزية تُعنى بشؤونهم .

٤ - مقررات اللجنة السياسية :

(أ) السعي لازالة الخلافات بين الدول الاسلامية اذا وجدت . وقد وفقت اللجنة في مسعاها الى تقريب وجهات النظر في قضية من هذا النوع كانت شائكة جداً .

(ب) اعتبار الاعتداء الاجنبي على قطر اسلامي او دولة اسلامية عدواناً على جميع الشعوب الاسلامية ، ثم السعي لرد هـذا العدوان في نطاق الاخوة الاسلامية وميثاق الامم المتحدة .

ومن المقررات السياسية « تـأييد الحركات الاستقلالية التحريرية في اي بلد اسلامي ضد الاستعمار مهما كان نوعه » .

(ج) الاهتمام بالعناية بالاقليات الاسلامية في كل مكان والعمل على بذل النفوذ لرد الاضطهاد عنها او للعمل عـلى رقيها .

(د) مشكلة اللغة العربية :

العالم الاسلامي ، الذي لا يتكلم اللغة العربية ، مقسوم من الناحيـة اللغوية قسمين : قسما يتكلم لغـة اسلامية كالتركية والفارسية والاردية والبشتو ، وقسما يتكلم لغـة غير اسلامية كالبنغالية والسياميـة والصينية . ومعظم هؤلاء في الواقع يتكلمون لهجات متعددة او لغات متعددة احيانا . لنأخذ الباكستان مثلا فان فيهـا البنغالية ثم البلوخستانيـة ثم البنجابية والسندية ، وهمـا متقاربتان ، ثم البشتو ثم الاردية ثم الكوجيراتي وهي لغة هندوكية ، لغـة قوم غاندي . فكيف يمكن لدولة ان تنهض بسهولة ثم تضمن مستقبلها اذا لم يكن لأهلها لغة يتفاهمون جميعا بها . وهنا بدت فكرة اتخاذ لغة واحدة في الباكستان . ولكن تبين ان كل لغـة تُفرض على الباكستان تكون في مصلحة

الاقلية التي تتكلم تلك اللغة . اما الاكثرية فيجب ان تتعلم تلك اللغة بشيء من الصعوبة كثيرٍ او قليل . ثم ان كل لغة من هـذه اللغات ستكون قاصرة على الباكستان وحدها .

وهنا برزت فكرة جعل اللغة العربية (لغة القرآن) هي اللغةَ العامة في العالم الاسلامي . وبما ان القضية قـد عرضت عرضا موجزاً فقد فهم كل قوم منها احد شيئين : اما جعل اللغة العربية لغـة ثانية في كل قطر بجانب لغته الاصلية ، او إحلال اللغة العربية المقام الاول في كل قطر اسلامي بصرف النظر عما عدا ذلك .

ولقد اثارت هـــذه القضية في المؤتمر بحوثا مستفيضة ومناقشات متشعبة . فالمسلم في البنغال مثلا يتكلم لغـــة لا تمت الى دينه ولا إلى وطنه ولا إلى ثقافته بشيء . فهو من اجل ذلك مستعد لأن يتبدل بلغته هـذه لغة ثانية . وفي هذه الحال يفضل ان تكون اللغة الجديدة لغة القرآن ، وهو ليس متحمساً للغة سواها . اما المسلم في السند مثلا فموقفه على وجه العموم يختلف قليلا . انـــه يتكلم لغة اسلامية مسلمة لها قيمتها ولها ادبها ولها عبقريتها فهو لا يرضى ان ينسى هـــذه اللغة مرة واحدة . إلا ان هنالك جانباً كبيراً من السكان يرضون ان يفعلوا ذلك . ولا ريب في ان التركي والايراني اشد تمسكا بلغتها القوميـة من المتكلم بالاردية .

واخيراً رأت اللجنة السياسية ان تتخذ القرار التالي :

« ان اللغة العربية (لغة القرآن) هي الواسطة الوحيدة الممكنة للتفاهم بين جميـــع البلاد الاسلامية ولفهم الدين الاسلامي فهماً صحيحاً في منابعه الاصلية . (لذلك) يجب السعي لتعميم تعليمها واتخاذهـــا لغة رسمية في البـلاد الاسلامية كافة » .

على ان اللجنة السياسية لم تحل هذه المشكلة باتخاذهـــا هذا القرار ، لأن هذه المشكلة اعمق جذوراً ممـا نتخيل . من اجل ذلك احببت ان اثبت فيما يلي الجانب الاوفر من الخطاب القيم الذي اعده صاحب السمو الملكي آغا خان لحفلة افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي : في هذا الخطاب تحليل بارع للمشكلة وإلمام جامع بنواحي الموضوع وصراحة في إبداء الرأي وإصابة للحقيقة والواقع في معالجة مشكلة من كبرى المشاكل التي تواجـه دولة الباكستان الفتية . قال آغا خان :

« ان لغة أمة من الامم ليست وسيلة للتعبـــير عن صوتها فحسب ، بل هي طريقـة للتفاهم بين جميع الهيئات الانسانيـــة الاخرى . وها انا ذا ، الرجـلَ العجوز ، أتضرع الى اخواني في الاسلام هنا ، قبل ان يسبق السيف العذل ، ألا يقرروا الأردية نهائياً كلغة الباكستان الوطنية ، بل ان يختاروا اللغة العربيـــة . وأرجو ان يصغوا الى حججي في ذلك .

« ان اولى حججي ضد اتخاذ الاردية لغة وطنية هو : لو ان القسم الثاني الذي كان يؤلف مع الباكستان امبرطورية الهند البريطانية قد اتخذ الاردية لغته الوطنية ، لكان في ذلك للباكستان عذرها في ان تحذو حذوه ، اذ تكون الاردية حينئذ رابطة لغوية ونقطة اتصال عظيمة مع هذه الجمهورية الواسعة في الجنوب [1] .

« يشهد الله أنني آخر من يريد ان يهدم اي جسر للاتصال والتفاهم بين الباكستان وبين جارتها الكبيرة . غير ان الواقع هناك ، ايها الاصدقاء ، هو ان اللغة الهندوكية قد حلت محل اللغة الاردية ومحل اللغة الهندستانية [2] ايضاً ، كلغة وطنية .

« ولقد كان سكان الهند على حق في اختيار أية لغة شاءوا لجعلها اللغة القومية ما دامت الاكثرية تعتقد ان تلك اللغة موافقة لها وذات صلة بتاريخها القديم . اما اختياركم انتم في الباكستان اللغة الاردية فليس من شأنه ان يحسّن ولا ان يوثق صلاتكم مع جارتكم الجنوبية ، كما انه سوف لا يساعد الاقليات المسلمة هناك مساعدة كبرى . ومهما اضفنا من كلمات عربية او فارسية جديدة الى اللغة الاردية فليس باستطاعتنا ان ننكر ان النحو والتركيب وأسس هذه اللغة هندوكية لا عربية .

---

(١) يقصد الهندستان .

(٢) الهندستانية لهجة المخاطبة المتفرعة من الاردية .

« هل كانت الاردية لغة مسلمي الهند في ابان مجدهم ؟ كلا ، فهي لم تعتبر لغة الحكام اثناء حكم الباتان الطويل . وفي زمن الدولة المغولية المجيد لم تعتبر لغة المثقفين . فهل بامكان احد من الناس ان يبرز رسالة كتبها احد الاباطرة المغول مثل اورنجزيب او شاه جهان او جهانجير او اكبر او همايون او بابار باللغة الاردية ؟

« انني أتحدى ! ان لغة البلاط كانت الفارسية واحياناً التركية .

« لقد قرأت الكثير مما كتبه اورنجزيب وكل ذلك باللغة الفارسية الجميلة . ومثل هذا يصدق ايضاً اذا زرنا تاج محل وقرأنا ما نقش على مدفن الامبراطور ومدفن حليلته المشهورة .

« وكذلك كانت الفارسية لغة البلاط ولغة الطبقات المثقفة الى اوائل القرن التاسع عشر . حتى في البنغال البعيد فان المثقفين من الهندوكيين اتخذوا الفارسية لغة الأدب والمخاطبة لا الاردية . وحتى ايام ماكولي [١] ظلت الفارسية لغة الطبقات الارستقراطية في البنغال بصرف النظر عن اختلاف مذاهب البنغاليين ، كما كانت ايضاً لغة الوثائق الرسمية ومجالس القضاء .

« لنقف من الحقائق التاريخية وجهاً لوجه . ان الاردية

---

(١) Macaulay (١٨٠٠ — ١٨٥٩) مؤرخ ومشرع انكليزي زار البنغال .

أصبحت لغة الهند الاسلامية بعد ذهاب دولتها ، وهي لغة مرتبطة بعهد الانحلال . ان شعراءها العظام هم شعراء هذا العهد ، ثم ان ساقة هـؤلاء العظام [1] كان محمد اقبال الذي أوحى اليه حب احياء المجد الادبي ان يهجر الاردية كلغـة للشعر الى الفارسية .

« حضرت استقبالا اقيم على شرف اقبـال نظمه رجال مثل البروفسور نيكلسون [2] . وقد قال اقبال نفسه في هذا الاستقبال انه اتخذ الفارسية لغة شعره لان الشعر الفارسي مرتبط بعظمة الحكم الاسلامي لا بحقبة انحلاله .

« وبعد ، أفمن الصواب ان تصبح لغة عهد الانحطاط لغة وطنية لما نتمنى ان يكون اعظم ما نصبو اليـه من اليقظة القومية ؟ ان كبار أساتذة الاردية عاشوا في حقبة الهمود والفشل . وفي ذلك الزمن كانوا على حق في استعمال لغة أصلها هندوكي اضافوا اليها عدداً من الكلمات العربيـة والفارسية ليجدوا سبيلاً للتفاهم بينهم وبين السواد الاعظم من مواطنيهم يومـــذاك . اما اليوم ، وقـــد انقسمت الامبراطورية الهندية قسمين قام فيهما أمتان عظيمتان ، فان العالم بأجمعه يأمل من كلا الطرفين ان يطمئن نهائيـاً الى هذا الوضع . أنا أسألكم : هل الاردية هي اللغة الوطنيـة الطبيعية لسكان الباكستان الحاليين ؟ هل هي لغـة البنغال

---

(١) آخرهم .

(٢) مستشرق انكليزي مشهور ، توفي حديثا .

حيث تعيش اكثرية الباكستانيين المسلمين . . ؟ هـل هي اللغة التي تسمعونها في شوارع داكا وشيتاغونغ .. ؟ أهي لغة الحدود الشمالية الغربية ام هل هي لغة اهالي السند ام لغة اهالي البنجاب [١] ؟

« لا ريب في ان المسلمين والهندوكيين قـد رأوا من الصواب ، بعد سقوط الامبرطورية المغوليـة ، ان يتخذوا في بعض المقاطعات لغـة تجمع ألسنتهم . ولكننا نحن اليوم في حاجة الى اشكال اخرى من الوسائل للوصول الى تفاهم متبادل .

« من ذا الذي خـلق الاردية ... ؟ واين كانت منابعها ... ؟ وعن اي طريق اتت ... ؟

« اما الذين خلقوها فهم حواشي المعسكرات ؛ وامـا منابعها فكانت في صفوف المرتزقة الذين تجمهروا حـول البلاط الامبراطوري . أولئك هم الذين تبنوا تلك اللغـة ثم جعلوا – وهم يتسكعون في طريقهم المملة – يحشرون الكلمات العربية والفارسية كلما احتاجوا اليها في نظام النحو من لغتهم الهندوكية ، كما فعل احفادهم في الايام الاخيرة حينما جعلوا يضيفون الكلمات الانكليزية من امثال « جلاس » و « كب » [٢] ؛ تلك الكلمات الاجنبية التي اصبحت جزءاً من

---

(١) البنغال ، الحدود الشمالية الغربية ، السند ، البنجـاب مقاطعات في دولة الباكستان .

(٢) Glass قدح ، Cup فنجان ، كأس ايضاً .

للهجة الاردية الحديثة التي تدعى بالهندستانية .

« أتريدون انتم الآن ان تجعلوا من لغة المعسكرات أم من لغة البلاط لغة وطنية لهذه الدولة الجديدة .. ؟

« كل طفل مسلم ، أهله على شيء من اليسار ، يتعلم القرآن الكريم باللغة العربية سواء أكان من داكا ام من كويته [1] . ثم هو يتعلم الابجدية العربية ليتعلم القرآن . ان اللغة العربية هي لغة الاسلام . لقد نزل القرآن عربياً ، وجاءت احاديث النبي عربية . وكذلك كانت ذروة الثقافة الاسلامية في الاندلس عربية . فعلى اولادكم كلهم ان يتعلموا شيئاً من العربية في كل حين . ثم ان هذا ينطبق على الباكستان الغربية في السند وفي بلوخستان وفي الشمال أيضاً .

« واذا نحن تأملنا الأمر من ناحيتيه العملية والعالمية وجدنا ان اتخاذنا اللغة العربية لغةً قومية لا تتيح لنا فقط اتصالاً وشيكاً باربعين مليوناً من العرب الذين يسكنون الى غربنا في دول مستقلة . بل هو يوثق صلاتنا بستين مليوناً آخرين يتكلمون العربية الى حدٍ ما ويعيشون في بلاد غير مستقلة في افريقية على الاخص . وكذلك نحن واجدون حتى سواحل افريقية على المحيط الاطلسي طبقات الشعب العليا تعرف العربية .

---

(١) Dacca عاصمة مقاطعة البنغال في الشرق و Quetta عاصمة مقاطعة البنجاب في الغرب

« هذه المعرفة غير مقتصرة على الشمال ، بل هي تمتد جنوباً الى نيجيريا وشاطىء الذهب . وكذلك في جميع الاصقاع السودانية ، سواء منها تلك التي على ضفاف النيل او التي تئن تحت الحكم الفرنسي ، نجد اللغة العربية لغة البلاد المنتشرة حتى تخوم الجزء البرتغالي من غربي افريقية . ثم نحن نجد اللغة العربية معروفة أيضا في شرقي افريقية لا في زنجبار وحدها بل بين المسلمين من سكان البلاد المترامية ما بين مدغشقر وبين شرقي افريقية البرتغالية .

« اما اذا نحن توجهنا الى الشرق لنتعرف الى مقام اللغة العربية فيه فاننا نجد ان الاسلام قد انتشر وازدهر بين ثمانين مليوناً من اهل اندونيسيا والملايو — ثمانين مليوناً من المسلمين منتشرين حتى جزائر الفليبين . وفي سيلان نفسها يحرص ارباب الاسر الغنية على تعليم أبنائهم شيئاً من العربية . أوليس اذن من الفائدة لدولة الباكستان القوية ذات المركز الجغرافي الوسط الذي تصل به بين مائة مليون من المسلمين الى شرقها وبين مائة مليون آخرين الى غربها — اي من الفليبين والدولة العظيمة اندونيسيا فالملايو فبورما ثم غرباً الى افريقية حيث يعيش مائة مليون سوى من عددنا منتشرين الى ضفاف الاطلسي — اوليس من الصواب للباكستان ان تجعل اللغة العربية لغة قومية لها بدلا من ان تعزل نفسها عن جيرانها العديدين وعن سائر العالم الاسلامي باتخاذها لغة أبرز خصائصها انها تتصل بعهد

انحطاط الدولة الاسلامية ؟ واخيراً ، ان العربية لغة عالمية للمسلمين تستطيع ان توحدهم بينما الاردية تفصل بينهم وتعزل بعضهم عن بعض » انتهى .

*

وكيف دار الامر فان لنشر اللغة العربية في الباكستان طريقة عملية وحيدة هي ان يكثر المتعلمون لها . ثم ان هذا لا يمكن ان يتم في وقت قصير . ولقد دُرس هذا الامر من هذه الناحية الموضوعية درساً وافياً ، ولكن ليس هنا موضع تفصيله .

*

وكانت الحفلات الاجتماعية التي اقيمت للوفد – كالمآدب وحفلات الشاي – كثيرة جداً حتى كادت كثرتها تعرقل اجتماعات اللجان الفرعية او عرقلتها فعلاً . وفي احدى الحفلات نهض التاجر الوجيه الحاج ابراهيم زينل وقال : لقد كنت وزعت رقاع دعوة لغد . وارى ان المآدب والحفلات قد كثرت حتى كادت تصرفنا عن عملنا الرئيسي الذي جئنا من اجله . من اجل ذلك رأيت ان ألغي هذه الحفلة واقدم بدلها ثلاثة آلاف وخمسمائة روبية للاجئي فلسطين . فكان عمله هذا غاية في الحكمة والنبل . وحذا حذوه نفر آخرون . ثم اعلن سماحة الحاج امين الحسيني انه يتبرع بمائة جنيه للاجئي كشمير . وانهالت التبرعات لفلسطين وكشمير واكثرها من أناس احبوا ان تكتم



الاستاذ حليم رئيس الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي يصغى الى
الاستاذ مصطفى فتح الله (الى اليمين) في حديث عن اجتماع الشباب

اسمائهم ، حتى انقلبت مأدبة الغــداء مباراة جميــلة في الاحسان ، اعني الاجادة والاتقان في السعي لهدف سام وغاية عملية .

وعلى الاثر ارتجل سماحة المفتي كلمة قال فيها : لو ان القادرين منا على البذل بذلوا في مواضع البذل الحقيقية لما ضاعت فلسطين !

*

وهنا قد يخطر ببالك ان تسأل عن اللغــة التي كان يتفاهم بها اعضاء المؤتمر في الاجتماعات المختلفة . كان للمؤتمر لغتان رسميتان : العربيــة والانكليزية . ولكن كان ثمت اعضاء لا يجيدون لغة من هاتين اللغتين أو لا يعرفونهــا البتة . ولم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء من ابــداء رأيهم او من سماع رأي الآخرين . من اجل ذلك طُلب الى من يود الكلام ممن لا يعرف اللغة العربية او الانكليزية ان يتكلم باللغة التي يجيدها . فتكلم نفر بالاردية والبشتو والتركية وبالاندونيسية والفارسية ، وكان النقلة ينقلون موجز كلامهم او تفصيله الى العربيــة والانكليزية او الى الاردية .

الا ان معظم المندوبين كان يصرون على ان يتكلموا باللغة العربية حباً من عند أنفسهم . واني لا ازال اذكر شاباً تركستانياً ضئيل الجسم كبير الروح وقف في جلسة عامة للمندوبين ليتكلم بالعربيــة فجعل يتلعثم . فقال له

سماحة المفـــتي تكلم بالتركية اذا شئت . ولكن الشاب جلس واخذ يكتب شيئاً في ورقة . ثم انه نهض وتلا من ورقته لغة عربية صافية . الا ان الثقل كان يحبس لسانه فقط ، مرة بعد مرة .

نفقات المؤتمر

حضر الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي نحو مائتـين وخمسين مندوباً ، كانوا كلهم ضيوفاً على المؤتمر . ولقـد انزلهم المؤتمر في احسن فنادق كراتشي وهيأ لهم سيارات تنقلهم بين فنادقهم وبين امكنة الاجـتماع والحفلات ثم تحملهم ايضاً في غـدواتهم وروحاتهم الى تصريف بعض شؤونهم الخاصة . ومع ان هذه الضيافة الكريمة قد دامت للجميـع عشرة ايام ، ثم استمرت لاولئك الذين بقوا في كراتشي بعد ذلك لانهاء اعمال اللجان الفرعية ، فان مجموع نفقات المؤتمر بلغت مائة الف روبية فقط .

ورأى رجل واحد من القوم ان يحمل هذا العبء عن المؤتمر فتبرع بنصف هذا المبلغ وجمـع النصف الآخر من المتبرعين ، ثم ابى ان يعلن اسمه .

- ١١ -

طريق مغروسة بالشوك ولكن . . .

اذا نحن ادركنا كل ما تقدم ثم قرأنا ما بين السطور ايضاً بانَ لنا ان دولة الباكستان الناشئة تواجه صعاباً كثاراً وعقبات ليس من السهل تذليلها : هنالك مشكلة اللاجئين وهنالك مشكلة الامية . هنالك معضلة اللغة وهنالك ايضاً مشاكل الري والانشاء الصناعي ، فان الانكليز لما اشرفوا على قسمة البلاد بين الهندوس والمسلمين حرصوا على ألا يجعلوا المناطق المزدهرة من نصيب المسلمين . ثم ان الانكليز انفسهم كانوا في مدة حكمهم يخصون البلاد التي يكثر فيها الهندوس بالعناية .

وهنالك ايضاً مشاكل الدفاع عن البلاد واصعبها ان الباكستان تتألف من قسمين احدهما يبعد عن الآخر اكثر من الف ميل ، وكلها محاطة بالهندستان او بالهندستان وسواها من الدول المحاربة الكبرى . ثم هنالك كثرة المذاهب . وكان هنالك فوق هذا كله عدد من المسلمين ينظرون الى الخير المادي القريب فضلوا ان يظلوا في

الهندستان حرصاً على مناصب يحتلونها واموال يكنزونها وجاه يعيشون فيه ، او انه كان لهم رأي في القومية يؤمنون به او يدعون اليه . ولقد عرفت انا ، منذ عام ١٩٤٨ ، نفراً من ذوي المكانة كانوا ولا يزالون يعتقدون ان بقاءهم في الهندستان عمل عاقل وانه ضرورة .

ثم هنالك ايضاً اصابع تحرك من وراء الستار اخيلة تظهر امام الستار . وهنالك ارث معقد من السياسة المحلية ، وهنالك عناصر الناقمين من الذين اخذوا يرون فقرهم المزمن من خلال ثقافتهم الجديدة . وكذلك هنالك الدول الكبرى القوية التي تدير سياسة العالم وتملك ازمّة الاقتصاد والتجارة ومقاليد البترول والصناعة ومستودعات المال ومعدات الحرب ، وتهيمن على وسائل الدعاية العالمية . وهنالك اشياء كثار في هذا العالم المضطرب الذي نعيش فيه نحن اليوم .

على ان الناظر المتأمل يرى ان الفئة الحاكمة في الباكستان ، بعد اعتبار جميع وجهات النظر المحلية ، تجهد حتى تثبت اركان الدولة وحتى تنشىء جيلاً خليقاً بالحياة الصحيحة . وان الذي يقترب من جهاز الحكم ثم يُجدّ النظر فيه تنكشف له ضروب من التضحية والتجرد تجري مجرى العجائب . ولكنّ ثمت اموراً يحسن في بعض الاحوال طيها لان نشرها يستغل احياناً استغلالا ليس على النهج القويم . ان هذا وحده — اذا تركنا كل شيء آخر

جانباً - كاف لان يكفل الحياة لهذه الدولة الناشئة . ان الدولة نفسها في الباكستان توجه الشعب وتجهد حتى توجهه نحو خيره وخير امته ووطنه . انها دولة تريد الاصلاح .

✡

وعند هـذا الحد من الاقتراب الى نهاية الكتاب اود ان اقول كلمة في الاصلاح كما نفهمه نحن وكما فهموه هم :

ان جرائدنا ودعاة الاصلاح فينا ينتظرون من الشعب ان يقوم بكل شيء حتى يحمل الحكومة عـلى ان تكون صالحة . فعلى الشعب مثلاً ان يكون رقيباً يقظاً عـــلى الحكومة حتى تأتي الانتخابات بعيدة عن التزوير . وعـلى المحكومين ان يتقيدوا بالقوانين حتى يجبروا الحاكمين عـلى احترامها . وعلى الصغار ان يحافظوا على النظام حتى يضطر الكبار الى المحافظـة عليه . ان هذا كله باطـــل في باب الاصلاح ، والصواب هو العكس . ان المذكرات الادارية ، التي تحث صغار الموظفين على المحافظة عـلى الدوام وتهددهم بالعقاب اذا هم أخلوا بذلك ، لا فائدة منها اذا كان بعض كبار الموظفـين او بعض المحتمـين بهم في جهاز الدولة لا يحضرون الى دوائر الحكومة الا قليلاً او لا يحضرون البتة .

كنا في دعوة غداء هناك . وبعد الغـــداء جلسنا في حلقة ضيقة ومعنا نفر من كبار الموظفـــين في وزارة الخارجية . وفيما نحن مستغرقون في الحديث اخرج موظف منهم ذو شأن ساعتـــه وقال : أرجـو ان تسمحوا لي

بالانسحاب ، فالساعة الآن الثالثة الا خمس دقائق ، ويجب ان اكون في الدائرة في الساعة الثالثة تماماً . ولما نهض نهض من كان معه ، ولم يبق حولنا الا اعضاء المؤتمر والضيوف ممن ليسوا بموظفين .

ان الاصلاح عمل الحاكمين في المحكومين لا عمل المحكومين في الحاكمين . ونحن ننتظر من العلماء ان يعلموا الجهال لا من الجهال ان يعلموا العلماء . والمعقول ان يقوم الاطباء بشفاء المرضى لا ان يترك للمرضى أمر العناية بالاطباء .

*

من اجل هذه النية الصادقة وتلك الجهود المبذولة هنالك باخلاص كان القائد الاعظم محمد علي جناح مؤسس دولة الباكستان ورئيسها الاول على حق حينما قال : ان دولة الباكستان ولدت لتعيش ، وستعيش !

٢١ جمادى الثانية ١٣٧٠ .

٣٠ آذار ١٩٥١ .

فهرست الكتاب

للمؤلف

•

	الثمن
١ ـ الحجاج بن يوسف (الطبعة الثانية)	٤٠
٢ ـ عمر ابن ابي ربيعة (الطبعة الثانية)	٧٥
٣ ـ عبد الله بن المقفع (الطبعة الثانية)	٤٠
٤ ـ الرسائل والمقامات (الطبعة الثانية)	١٠٠
٥ ـ ابن الرومي (الطقعة الثانية)	٥٠
٦ ـ احمد شوقي (الطبعة الثانية)	٦٠
٧ ـ ابن خلدون (الطبعة الثانية)	٥٠
٨ ـ اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية (الطبعة الثانية)	
٩ ـ شعراء البلاط الاموي (الطبعة الثانية)	١٢٥
١٠ ـ الفارابيان : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية)	١٠٠
١١ ـ اربعة أدباء معاصرون (الطبعة الثانية)	
١٢ ـ خمسة شعراء جاهليون	١٥٠
١٣ ـ بشار بن برد (الطبعة الثانية)	١٢٥
١٤ ـ نهج البلاغة	٥٠
١٥ ـ اخوان الصفا	٢٥٠

	الثمن
١٦ – ابن باجه	١٠٠
١٧ – ابن طفيل	١٢٥
١٨ – التصوف في الاسلام	٢٠٠
١٩ – الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب	١٥٠
٢٠ – موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية	١٠٠
ابو نواس : دراسة ونقد (الطبعة الثالثة)	١٥٠
ابو نواس : مختارات	٥٠
ابو تمام	١٠٠
حكيم المعرة (الطبعة الثانية)	٢٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	٣٠٠
الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الثانية)	١٥٠
نحو التعاون العربي	١٠٠
دفاعاً عن العلم (نفد)	
دفاعاً عن الوطن	٥٠
الاسئلة الثلاثة (مشهد تمثيلي مدرسي)	٢٥
Das Bild des Frûhislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode 'Umars, 1 - 23 d. H. (622 - 644 n. Ch. Leipzig 1937.	٦٠٠

باكستان — دولة ستعيش ١٥٠



IN ARABIC

PAKISTAN

A STATE THAT WILL LIVE



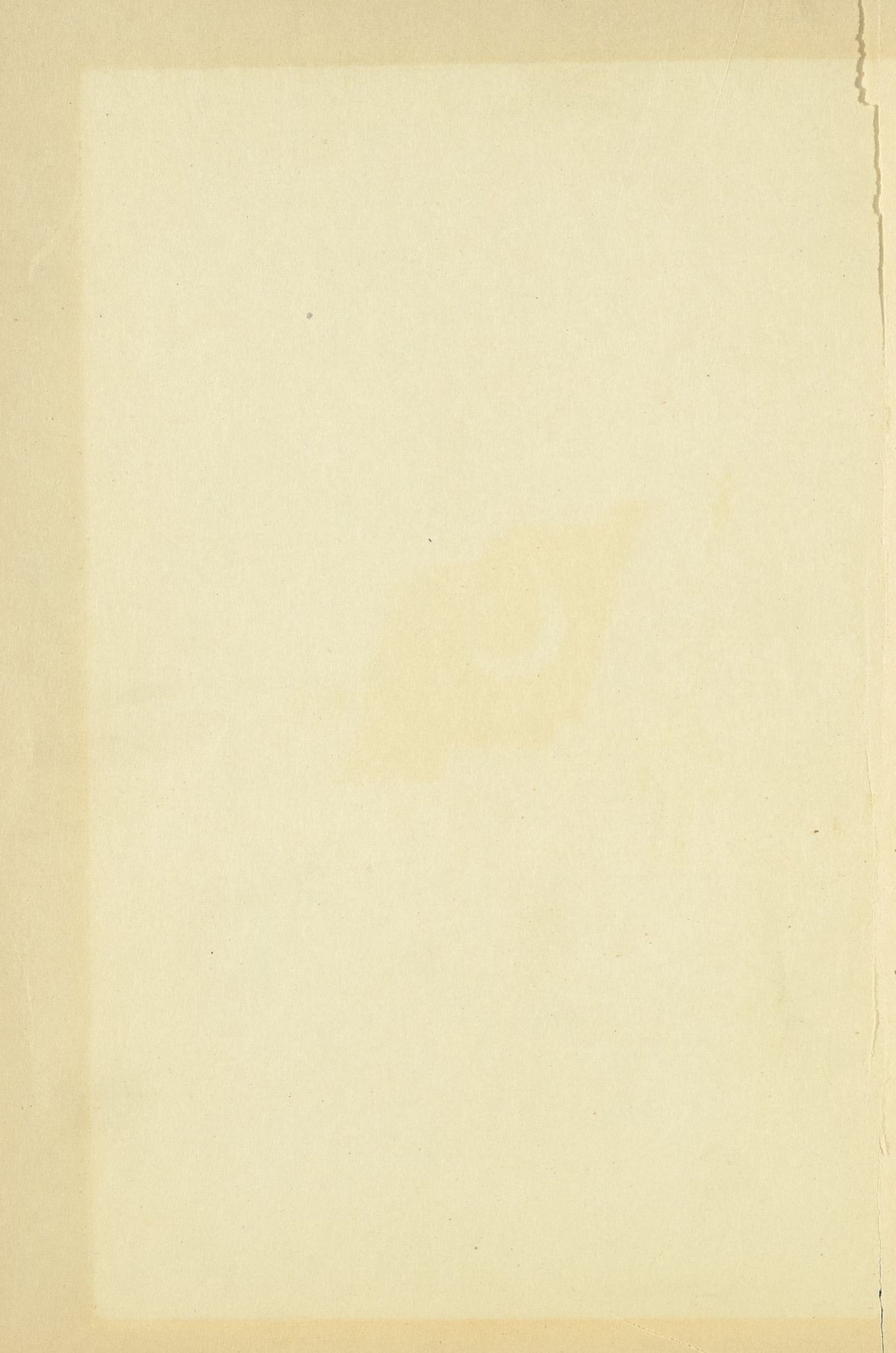
A CONCISE ACCOUNT OF THE HEROIC STORY & OF SOME PROMISING ASPECTS OF PAKISTAN

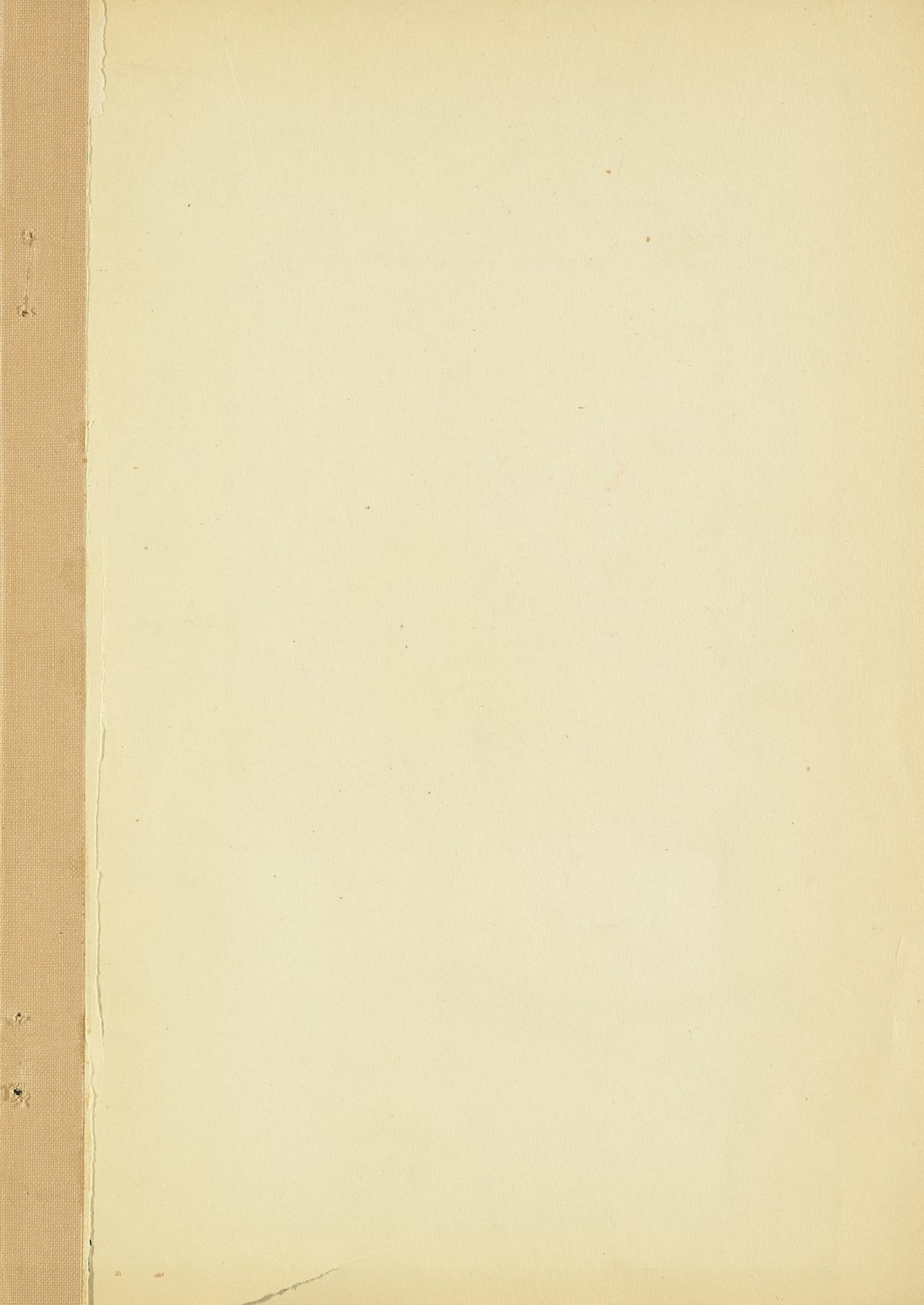
BY

DR. PHIL. OMAR A. FARRUKH

Member of the Arab Academy, Damascus;
Member of the Islamic Research Association, Bombay.

Dar - ul - Kashaf — Beirut







SEP 8 1952

954.7—F24